التعظيم والمنة فى أن
أبوى رسول الله في الجنة
صلى الله عليه وآله وسلم

للإمام الحافظ المفسر
جلال الدين عبد الرحمن السيوطى
رضى الله تعالى عنه

تحقيق
مفتى الديار المصرية وعضو جماعة كبار العلماء
فضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف
رضى الله تعالى عنه

الناشـــر
دار جوامع الكلم ت : ٥٨٩٨٠٢٩

التعظيم والمنة فى أن أبوى الرسول فى الجنة

صلى الله عليه وآله وسلم

للإمام الحافظ

سيدى جلال الدين بن عبد الرحمن السيوطى

رضى الله تعالى عنه

تحقيق العلامة الشيخ

حسنين محمد مخلوف

مفتي الديار المصرية وعضو جماعه كبار العلماء

الناشر

دار جوامع الكلم

ت ٥٨٩٨٠٢٩٠

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشر

الحمد لله تعالى الذى تولى حبيبه ومصطفاه فلم يزل ينقله من الأصلاب الكريمة إلى الأرحام الطاهرة حتى أخرجه من أبوين لم يلتقيا على سفاح قط .

وصلى الله تبارك وتعالى على سيدنا ومولانا محمد وآله وسلم القائل فى حديثه الشريف ، ما افترق الناس فرقتين إلا جعلنى الله فى خيرهما فأخرجت من بين أبوىّ ولم يصبنى شىء من عهد الجاهلية . خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم حتى انتهيت إلى أمى . فأنا خيركم نفساً وخيركم أباً ، .

وها نحن الآن بصدد طبع كتاب ، التعظيم والمنة فى أن أبوى الرسول فى الجنة - صلى الله عليه وآله وسلم ، ليكون سداً فى وجوه المنكرين والحاقدين والجاحدين لفضل الله على رسوله والقائلين بإن والدى النبى فى النار ﴿ وإنهم ليقولون منكراً من القول وزورا ﴾ .

والتحدث بهذا القول صعب وخطير جداً لأن الأئمة قد نصوا على أنه ليس لنا أن نقول ذلك لأنه يؤذى رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - ﴿ إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة ﴾ .

وسئل القاضى ابو بكر بن العربى أحد أئمة المالكية عن رجل قال:

إن آباء النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى النار .

فأجاب : بأنه ملعـــون . لأن الله تعالى يقول فى كتابه العزيـز : ﴿ إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخره وأعد لهم عذابا مهينا ﴾ ولا أذى أعظم من أن يقال عن أبيه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ إنه فى النار .

وإنه لشرف ـ لو تعلمون ـ عظيم أن تقوم مكتبتنا ـ دار جوامع الكلم ـ بطباعة هذا الكتاب القيم المفيد الذى ذاع خبره بين أهل الإيمان الصادق والمحبة الخالصة لله ورسوله . .

هذا الكتاب الذى يزعج طبعه ونشره أهل الجفوة والجحود الذين يجحدون فضل الله تعالى على رسوله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فثارت ثائرتهم على ماجاء فى هذا الكتاب من حقائق أثبتتها الصحاح من كتب السنة والسيرة .

فهذا الكتاب لِمَا قُرِئ له ، فمن قرأه بعين المحبة ارتاح قلبه . وهدأت نفسه ، ومن قرأه بعين الجحود والنكران إشتعلت فى نفسه نيران الحقد والبغض والغيره .

نسأل الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن ينفع بهذا الكتاب وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم . وأن نكون بهذا العمل المتواضع قد أدينا ولو النذر اليسير من حق رسول الله علينا . وأن يكون لنا عنده ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يداً نسعد بها فى يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون .

دار جوامع الكلم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد الله وكفى . وسلام على عباده الذين اصطفى . أفتيت بأن المختار أن أم النبى صلى الله عليه وآله وسلم موحدة وحكمها حكم من تحنف فى الجاهلية وكان على دين إبراهيم الخليل عليه السلام ، وترك عبادة الأصنام .، كزيد بن عمرو بن نُفَيْل وأضرابه ، وبأن الحديث الوارد فى أن الله أحياها له ليس بموضوع كما ادعاه جماعة من الحفاظ بل هو من قسم الضعيف الذى يتسامح بروايته فى الفضائل خصوصا فى مثل هذا الموطن .

فتضمن هذا الافتاء أمرين محتاجين إلى بيان المستند لكل منهما

(١) الكلام في حديث الإحياء وأنه ضعيف لا موضوع :

(**فأقول**) قال ابن شاهين[١] فى كتابه ، الناسخ والمنسوخ ، حدثنا محمد بن الحسين [٢] بن زياد مولى الأنصار حدثنا أحمد بن يحيى الحضرمى بمكة حدثنا أبو غَزِيَّة محمد بن يحيى الزهرى حدثنا عبد الوهاب بن موسى الزهرى عن عبد الرحمن بن أبى الزناد عن هشام ابن عروة عن أبيه عن السيدةعائشة رضى الله تعالى عنها أن النبى صلى

(١) أبو حفص عمر بن عثمان بن شاهين البغدادى الواعظ المتوفى سنة خمس وثمانين وثلاثمائه .
(٢) فى اللسان ـ كما سيأتى ابن الحسن فليحرر .

الله عليه وآله وسلم نزل إلى الحجون كئيبا حزينا فأقام به ما شاء ربه عز وجل ثم رجع مسرورا فقلت يارسول الله نزلت إلى الحجون كئيبا حزينا فأقمت به ماشاء الله ثم رجعت مسرورا قال ، **سألت ربى عز وجل فأحيا لى أمى فآمنت بى ثم ردّها** ، .

أورده ابن الجوزى فى الموضوعات ، وقال الحافظ أبو الفضل بن ناصر : هذا الحديث موضوع ، ومحمد بن زياد هو النقاش[1] ليس بثقة، وأحمد بن يحيي ومحمد بن يحيى مجهولان.

(**قلت**) أما محمد بن يحيى فليس بمجهول فقد ذكره الذهبى فى ، الميزان والمغنى ، معا فقال محمد بن يحيى أبو غزية المدنى الزهرى قال الدارقطنى متروك وقال الأزدى ضعيف هذه عبارته فقد عرف بالضعف لا بالوضع ، ومن يترجم بهذا لا يكون حديثه فى درجة الموضوع بل فى درجة الضعيف .

وأما أحمد بن يحيى الحضرمى فليس بمجهول أيضا فقد ذكره الذهبى فى ، الميزان ، وقال روى عن حرملة التجيبى وليّنه أبو سعيد بن يونس . ومن يترجم بهذا يعتبر حديثه .

وأما محمد بن زياد فإن كان هو النقاش كما ذكر فهو أحد العلماء بالقراءات وأحد أئمة التفسير. قال الذهبى فى ، الميزان ، صار شيخ المقرئين فى عصره على ضعف فيه أثنى عليه أبو عمرو الدانى وحدث

(١) قوله ومحمد بن زياد الخ قال فى لسان الميزان ما نصه محمد بن الحسن بن محمد بن زياد الموصلى ثم البغدادى النقاش المقرىء المفسر أ هـ ومنه يعرف نسبه .

بمناكير[١] [قلت][٢] ومع ذلك فلم ينفـردا[٣] به فإن للحـديث طريقين آخرين عن أبى غزية .

قال الحافظ محب الدين أحمد بن عبد الله المكى الطبرى[٤] فى كتابه ، سيرة النبى ، أخبرنا أبو الحسن أخبرنا الحافظ أبو الفضل محمد بن ناصر السلامى إجازة أخبرنا أبو منصور محمد بن أحمد بن على بن عبد الرزاق الحافظ الزاهد أخبرنا القاضى أبو بكر.محمد بن عمر بن الأخضر حدثنا أبو غزية محمد بن يحى الزهرى حدثنا عبد الوهاب بن موسى الزهرى عن عبد الرحمن ابن أبى الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم نزل الحجون كئيبا حزينا فاقام به ما شاء الله ثم رجع مسرورا قال ، **سألت ربى فأحيا لى أمى فآمنت بى ثم ردها** ، .

وأما الذهبى فلم يعلل الحديث بواحد من الثلاثة المذكورين[٥] بل قال فى ، الميزان ، عبد الوهاب بن موسى عن عبد الرحمن بن أبى الزناد يحدث - أن الله أحيا لى أمى فآمنت بى ... الحديث ، لا يدرى من ذا الحيوان الكذاب فإن هذا الحديث كذب مخالف لما صح من أنه عليه السلام استأذن ربه فى الزيارة والاستغفار لها فلم يأذن له انتهى .

---

(١) قوله وحدث بمناكير الخ فى اللسان كان النقاش يكذب فى الحديث والغالب عليه القصص وقال الزرقانى كل حديث النقاش منكر قال الخطيب فى أحاديثه مناكير بأسانيد مشهورة أ هـ .

(٢) زيادة اقتضاها المقام لأن هذا القول من المؤلف لا من الذهبى تأمل .

(٣) أى محمد بن زياد وأحمد بن يحيى .

(٤) المتوفى سنة أربع وتسعين وستمائة .

(٥) أى كما ذكره الحافظ أبو الفضل بن ناصر .

وحاصله أنه أعلّ الحديث بأمرين :

(**أحدهما**) : جهالة عبد الوهاب ابن موسى .

(**والثانى**) : مخالفته للحديث الصحيح المذكور .

والجواب عن الأمر الأول : أن عبد الوهاب معروف من رواة مالك وقد روى هذا الحديث أيضا عنه .

قال الحافظ أبو بكر الخطيب فى كتاب ، السابق واللاحق ، أخبرنا أبو العلاء الواسطى حدثنا الحسين بن على بن محمد الحلبى حدثنا أبو طالب عمر بن الربيع الزاهد حدثنا على بن أيوب الكعبى حدثنا محمد بن يحيى الزهرى أبو غزية حدثنا عبد الوهاب بن موسى حدثنا مالك بن أنس عن أبى الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها قالت [**حج بنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حجة الوداع فمرّ بى على عقبة الحجون وهو باكٍ حزين مغتم فبكيت لبكاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم إنه طفر فنزل فقال: ياحميراء[1] استمسكى فاستندت إلى جنب البعير فمكث عنى طويلا ثم عاد إلىّ وهو فرح متبسم فقلت له بأبى أنت وأمى يارسول الله نزلت من عندى وأنت باكٍ حزين مغتم فبكيت لبكائك ثم إنك عدت إلىّ وأنت فرح متبسم فممّ ذاك يارسول الله قال : ، ذهبت لقبر أمى فسألت الله أن يحييها فأحياها فآمنت بى وردها الله تعالى**] أخرجه من هذا الطريق

(١) تصغير حمراء أى بيضاء للتحبب كقولهم يا بنى ويا أخى .

الدارقطنى فى « غرائب مالك » وقال باطل وأخرجه ابن عساكر فى « غرائب مالك » أيضًا وقال منكر وأورده ابن الجوزى فى «الموضوعات» أيضاً ولم يتكلم على رجاله .

وقد قال الذهبى فى « الميزان » على بن أيوب أبو القاسم الكعبى روى عن ابن يحيى الزهرى لا يكاد يعرف .

(قلت) قد بان بهذا الطريق أن عبد الوهاب بن موسى هذا يقال له أبو العباس الزهرى[1] . ذكره الخطيب فى الرواة عن مالك فأخرج من طريق سعيد بن الحكم بن أبى مريم المصرى حدثنا عبد الوهاب بن موسى الزهرى حدثنا مالك حدثنى عبد الله بن دينار عن سعد مولى عمر بن الخطاب أن كعب الأحبار قال لعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه إنا لنجدك فى كتاب الله تعالى على باب من أبواب جهنم تمنع الناس أن يقعوا فيها فإذا مت لم يزالوا يقتحمون فيها إلى يوم القيامة ، وهذا الأثر معروف عن مالك . أخرجه ابن سعد فى « الطبقات » عن معن بن عيسى عن مالك بسنده ومتنه سواء .

فزالت جهالة عين عبد الوهاب برواية ثان عنه بروايته المعروفة وكان الحديث عنه من طريقين عن مالك عن أبى الزناد عن هشام ، وعن عبد الرحمن بن أبى الزناد عن هشام فرواه مرة هكذا ومرة هكذا .

وفى هذا الطريق زيادة فائدة هى أن ذلك وقع فى « حجة الوداع »

* * *

(١) ولكن لم يذكر أبو العباس فى هذا الطريق فلعله سقط من الناسخ وسيجىء التصريح بكنيته هذه .

الجواب عن الأمر الثانى : وهو المخالفة لحديث الاستئذان فى الاستغفار عند الزيارة فإن قصة الزيارة كانت ، عام الفتح ، كما فى حديث بريدة وذلك قبل هذه القصة بعامين . ولهذا أورده ابن شاهين فى ، الناسخ والمنسوخ ، فأورد حديث الزيارة والنهى عن الاستغفار وجعله منسوخا وأورد بعده حديث السيدة عائشة - رضى الله تعالى عنها - فى الإحياء وجعله ناسخا وذلك حسن جلى .

وتابعه القرطبى على ذلك فقال فى ، التذكرة ، بعد أن أورد حديث عائشة فى إحياء أمه وحديث إحياء أبويه : ولا تعارض لأن إحياءهما متأخر عن الاستئذان فى الاستغفار لها بدليل حديث عائشة فى حجة الوداع ولذلك جعله ابن شاهين ناسخا لما ذكر من الأخبار .

وقال ابن شاهين أيضا حدثنا يحيى بن صاعد حدثنا إبراهيم بن سعد وزهير بن محمد وله اللفظ قالا حدثنا عبد الرحمن بن المبارك حدثنا مصعب بن حرب عن على بن الحكم عن عثمان بن عمير عن أبى وائل عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال جاء ابنا مليكة فقالا يارسول الله ان أمنا كانت تكرم الضيف وقد وأدت فى الجاهلية فأين أمنا ؟ فقال أمكما فى النار، فقاما وقد شق ذلك عليهما ، فدعاهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال إن أمى مع أمكما فقال منافق من الناس ما يغنى هذا عن أمه إلا ما يغنى ابنا مليكة عن أمهما فقال شاب من الأنصار لو أن أبويك فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما سألتهما ربى فيعطينى فيهما وإنى لقائم المقام المحمود .

وأخرجه الحاكم فى « المستدرك » وقال صحيح وفى هذا الحديث فوائد.

ـ منها أن قوله إن أمى مع أمكما. كان قبل أن يسأل ربه فيهما فلا ينافيه حديث إحيائهما وإيمانهما حين سأل ربه فى ذلك.

ـ ومنها أنه صلى الله عليه وآله وسلم جوَّز أنه إذا سأل ربه فيها يعطيه، فدل ذلك على إمكانه.

ـ ومنها أن أصحابه جوزوا ذلك عليه واعتقدوا أن من خصائصه ما يقتضى ذلك.

* * *

وقال ابن سعد فى « الطبقات » أخبرنا عفان بن مسلم حدثنا حماد ابن سلمة عن ثابت عن إسحاق بن عبد الله بن الحارث قال: قال العباس ـ رضى الله تعالى عنه ـ « **يارسول الله ما ترجو لأبى طالب قال كلَّ الخير أرجو من ربى** » فإذا كان هذا رجاءه لأبى طالب مع أنه أدرك البعثة وعرض عليه الإسلام فأبى فلأبويه أولى.

وقال السهيلى فى كتابه « الروض الأنف » روى حديث غريب لعله يصح وجدته بخط جدى أبى عمر أحمد بن أبى الحسن القاضى بسند فيه مجهولون ذكر أنه نقله من كتاب أنتسخ من كتاب معوذ بن داود بن معوذ الزاهد رفعه إلى أبى لزناد عن هشام عن عروة عن السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها أخبرت « **أن رسول الله صلى الله عليه وآله**

وسلم سأل ربه أن يحيى أبويه فأحياهما له فآمنا به ثم أماتهما ،... والله قادر على كل شيء وليس تعجز رحمته وقدرته عن شيء ونبيه صلى الله عليه وآله وسلم أهل أن يختصه الله بما شاء من فضله وينعم عليه بما شاء من كرامته . انتهى

كلام الحافظ بن دحية والرد عليه :

وقال القرطبى ذكر الحافظ أبو الخطاب عمر بن دحية أن الحديث فى إيمان أمه وأبيه موضوع يرده القرآن العظيم والاجماع قال الله تعالى ﴿ ولا الذين يموتون وهم كفار ﴾ (١) وقال : ﴿ فيمت وهو كافر ﴾ (٢)فمن مات كافراً لم ينفعه الإيمان بعد الرجعه بل لو آمن عند المعاينة لم ينفعه فكيف بعد الإعادة .

وفى التفسير أنه عليه الصلاة والسلام قال ليت شعرى ما فعل أبواى فنزل ﴿ ولا تسأل عن أصحاب الجحيم ﴾ (٣) .

قال القرطبى وفيما ذكره ابن دحية نظر وذلك أن فضل النبى صلى الله عليه وآله وسلم وخصائصه لم تزل تتوالى وتتابع إلى مماته صلى الله عليه وآله وسلم فيكون هذا مما فضله الله تعالى به وأكرمه وليس إحياؤهما وإيمانهما به ممتنعا عقلا ولا شرعا (٤)

فقد ورد فى الكتاب العزيز إحياء قتيل بنى إسرائيل وإخباره بقاتله

---

(١) سورة النساء آية ١٨ . (٢)

(٣) سورة البقرة آية ١١٩ .

(٤) إن الذى احيا هو الله وليس نبيه وإذا كان الأمر معلق بالله تعالى فتحدث ولا حرج فسبحانه المحى المميت

وكان عيسى عليه السلام يحيى الموتى .

وكذلك نبينا صلى الله عليه وآله وسلم أحيا الله على يديه جماعة من الموتى .

وإذا ثبت هذا فما يمنع من إيمانهما بعد إحيائهما زيادةً فى كرامته وفضله مع ما ورد من الخبر فى ذلك ويكون ذلك مخصوصا بمن مات كافرا وقوله فمن مات كافرا إلى آخر كلامه مردود بما روى فى الخبر أن الله تعالى ردَّ الشمس على نبيه بعد مغيبها حتى صلى علىُّ رضى الله تعالى عنه ذكره الطحاوى وقال إنه حديث ثابت فلو لمَ يكن رجوع الشمس نافعا وأنه لا يتجدد الوقت لما ردَّها عليه فكذلك يكون نافعا لأبوى النبى صلى الله عليه وآله وسلم وقد قبل الله تعالى إيمان قوم يونس عليه السلام وتوبتهم مع تلبسهم بالعذاب كما هو أحد الأقوال وهو ظاهر القرآن .

وأما الجواب عن الآية فيكون ذلك قبل إيمانهما انتهى كلام القرطبى.

قلت .. استدلاله على تجدد الوقت بقصة رجوع الشمس فى غاية الحسن ولهذا حكم بكون الصلاة أداءً وإلا لم يكن لرجوعها فائدة إذ كان يصح قضاء العصر بعد الغروب .

وقد ظفرت باستدلال أوضح منه وهو:

ما ورد أن أصحاب الكهف يبعثون فى آخر الزمان ويحجون ويكونون من هذه الأمة تشريفا لهم بذلك وروى عن ابن عباس مرفوعا

(**أصحاب الكهف أعوان المهدى**) أخرجه ابن مرْدويه فى تفسيره فقد اعتد بما يفعله أصحاب الكهف بعد إحيائهم بعد الموت .

ولا بدع فى أن يكون الله تعالى كتب لأبوى النبى صلى الله عليه وآله وسلم عمراً ثم قبضهما قبل استيفائه ثم أعادهما لاستيفاء تلك اللحظة الباقية وآمنا فيها فيعتد به ويكون تأخير تلك اللحظة الباقية بالمدة الفاصلة بينهما *لإستدراك الإيمان* من جملة *ما أكرم الله تعالى به نبيه صلى الله* عليه وآله وسلم كما أن تأخير أصحاب الكهف هذه المدة من جملة ما أكرموا به ليحوزوا شرف الدخول فى هذه الأمة .

ثم إن تعليل ابن دحية للحديث بمخالفة ظاهر القرآن **ليس على طريقة أهل الحديث** . فقد ذكر الحافظ أبو الفضل بن طاهر المقدسى فى كتابه ، الإيضاح ، تعليل ابن حزم لحديث الإسراء الذى أخرجه البخارى وحكمه عليه بأنه موضوع لمخالفة ما ثبت فى أحاديث الإسراء الصحيحة ثم تعقّبه بأن قال إن ابن حزم وإن كان إماما فى علوم شتى إلا أنه لم يسلك طريق الحفاظ فى تعليل الحديث. وذلك أن الحفاظ إنما يعللون الحديث من طريق الإسناد الذى هو المرقاة إليه وهذا الرجل علله من حيث اللفظ انتهى

وأما حديث(ليت شعرى ما فعل أبواى) . فمعضل ضعيف لا نقوم به حجة .

وقال الحافظ فتح الدين بن سيد الناس فى سيرته بعد أن ذكر رواية ابن إسحاق فى (أن أبا طالب أسلم عند الموت ما نصه : وقد روى

أن عبد الله بن عبد المطلب وآمنة بنت وهب أبوى النبى صلى الله عليـه وآله وسلم أسلمـا أيضا وأن الله أحـياهمـا له فـآمنا به) . وروى ذلك أيضا فى حق جده عبد المطلب قال ، وهو مخالف لما أخرجه أحمد عن أبى رزين العقيلى قال قلت يارسول الله أين أمى قال أمك فى النار ، قلت فأين من مضى من أهلك قال أما ترضى أن تكون أمك مع أمى .

قـال وذكـر بعض أهل العلم فى الجـمع بين هذه الروايات مـا حاصله: أن النبى صلى الله عليـه وآله وسلم لم يزل راقيـا فى المقامات السنية صاعدا فى الدرجات العلية إلى أن قبض الله روحـه الطاهرة إليـه وأزلفـه بما خـصـه به من الكرامـة حين القدوم عليه فمن الجائز ان تكون هذه درجة حصلت له صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن لم تكن وأن يكون الاحياء والإيمان متأخرا عن تلك الأحاديث فلا تعارض انتهى .

(قلت) هذا كله كـلامى على الجـديث من غـيـر أن أقف على كلام أحد تكلم عليه ثم راجعت « لسان الميزان » تأليف إمـام الحـفاظ أبى الفضل ابن حـجر فوجدته ساق كـلام « الميزان » فى ترجمة عبد الوهاب بلفظه ثم قال ما نصه قلت تكلم الذهبى فى هذا الموضع بالظن فسكت عن المتـهم بهـذا الحـديث وقـد قـال الدارقطنى فى « غـرائب مـالك » مـا نصـه ويروى عن مالك عن أبى الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها حديثان منكران باطلان فذكر هذا الحديث من طريق على بن أيوب الكعبى عن أبى غَزِّية ثم قال وهذا كـذب على

مالك والحمل فيه على أبى غزية والمتهم به هو أو من حدّث عنه ، وعبد الوهاب بن موسى ليس به بأس .

ثم قال الحافظ ابن حجر وأخرج ابن الجوزى فى « الموضوعات » عن عمر بن الربيع الزاهد حدثنا على بن أيوب الكعبى حدثنى محمد بن يحيى أبو غزية الزهرى عن عبد الوهاب بن موسى فذكر الحديث مطولا .

ثم ساقه من طريق آخر فيه محمد بن الحسن النقاش المفسر قال ثنا أحمد بن يحيى حدثنا محمد بن يحيى عن عبد الوهاب . ثم قال ابن الجوزى : النقاش ليس بثقة وأحمد بن يحيى ومحمد بن يحيى مجهولان.

قال الحافظ ابن حجر فأما قوله على بن أيوب الكعبى فوافقه ابن عساكر عليه لما خرج هذا الحديث بطوله كما سيأتى فى ترجمة عمر بن الربيع وسمى الدارقطنى أباه أحمد . وأما محمد بن يحيى فليس بمجهول بل هو معروف له ترجمة جيدة فى « تاريخ مصر » لأبى سعيد بن يونس ورماه الدارقطنى بالوضع وهو أبو غزية محمد بن يحيى الزهرى وسيأتى ذكره فى موضعه . وأما أحمد بن يحيى فلم يظهر من « مسند النقاش » ما يتميز به وفى طبقته جماعة كل منهم أحمد بن يحيى أقربهم إلى هذا السند أحمد بن يحيى بن زكريا فإنه مصرى وعلى الكعبى مصرى كما قاله الدارقطنى .

وقد ذكر الخطيب : عبد الوهاب بن موسى صاحب الترجمة فى الرواة عن مالك وكناه أبا العباس ونسبه زهريا وأورد له من طريق سعيد ابن أبى مريم عنه عن مالك عن عبد الله بن دينار أثرا موقوفاً على عمر

مالك والحمل فيه على أبى غزية والمتهم به هو أو من حدّث عنه ، وعبد الوهاب بن موسى ليس به بأس .

ثم قال الحافظ ابن حجر وأخرج ابن الجوزى فى « الموضوعات » عن عمر بن الربيع الزاهد حدثنا على بن أيوب الكعبى حدثنى محمد بن يحيى أبو غزية الزهرى عن عبد الوهاب بن موسى فذكر الحديث مطولا .

ثم ساقه من طريق آخر فيه محمد بن الحسن النقاش المفسر قال ثنا أحمد بن يحيى حدثنا محمد بن يحيى عن عبد الوهاب . ثم قال ابن الجوزى : النقاش ليس بثقة وأحمد بن يحيى ومحمد بن يحيى مجهولان.

قال الحافظ ابن حجر فأما قوله على بن أيوب الكعبى فوافقه ابن عساكر عليه لما خرج هذا الحديث بطوله كما سيأتى فى ترجمة عمر بن الربيع وسمى الدارقطنى أباه أحمد . وأما محمد بن يحيى فليس بمجهول بل هو معروف له ترجمة جيدة فى « تاريخ مصر » لأبى سعيد بن يونس ورماه الدارقطنى بالوضع وهو أبو غزية محمد بن يحيى الزهرى وسيأتى ذكره فى موضعه . وأما أحمد بن يحيى فلم يظهر من « مسند النقاش » ما يتميز به وفى طبقته جماعة كل منهم أحمد بن يحيى أقربهم إلى هذا السند أحمد بن يحيى بن زكريا فإنه مصرى وعلى الكعبى مصرى كما قاله الدارقطنى .

وقد ذكر الخطيب : عبد الوهاب بن موسى صاحب الترجمة فى الرواة عن مالك وكناه أبا العباس ونسبه زهريا وأورد له من طريق سعيد ابن أبى مريم عنه عن مالك عن عبد الله بن دينار أثرا موقوفاً على عمر

رضى الله تعالى عنه فى قصة له مع كعب الأحبار وقال إنه تفرد به ولم يذكر فيه جرحا وأورده الدارقطنى فى « الغرائب » من هذا الوجه وقال هذا صحيح عن مالك ، وعبد الوهاب بن موسى ثقة ومن دونه كذلك .

ونقل ابن الجوزى عن شيخه محمد بن ناصر أن هذا الحديث موضوع ؛ لأن قبر آمنة بالأبواء كما ثبت فى الصحيح وأبو غزية هذا زعم أنه بالحجون[1] وسبق ابن الجوزى إلى الحكم بوضعه ومعارضته لحديث بريدة ـ الجوزقانى فى كتاب الأباطيل وسيأتى فى ترجمة عمر بن الربيع[2] مع زيادة فى الكلام على حديث أبى غزية عن عبد الوهاب بن موسى .

هذا كله كلام « لسان الميزان » فى ترجمة عبد الوهاب .

وقوله فى أحمد بن يحيى إنه لم يظهر من « مسند النقاش » ما يتميز به .

يقال عليه قد ظهر من السند الذى ساقه ابن شاهين فى (الناسخ والمنسوخ) عنه ما يتميز به من حيث نسبه الحضرمى .

وقال فى « لسان الميزان » فى ترجمة أبى غزية :هو أبو غزية الصغير زهرى كان بمصر روى عنه جماعة منهم، وقد ذكر أبو سعيد بن

(١) الإبواء واد بين مكة والمدينة وقد توفيت وهى راجعة من المدينة إلى مكة ودفنت فى الابواء على المشهور وهو قول ابن إسحاق وجزم به العراقى قال فى المواهب اللدنية . ويعارضه ما فى الأحاديث من أنها دفنت بالحجون وهو جبل بمعلاة مكة وجمع بعضهم بأنها دفنت بالابواء ثم نبش قبرها ونقلت إلى الحجون اهـ .

(٢) هو عمر الربيع أبو طالب الخشابى ذكره القراب فى تاريخه وقال إنه كذاب وضعفه الدارقطنى اهـ من اللسان .

يونس فى الغرباء نسبه ، فقال :محمد بن يحيى بن محمد بن عبد العزيز ابن عمر بن عبد الرحمن بن عوف أبو عبد الله ولقبه أبو غزية مدنى قدم مصر له كنيتان .

وذكر فيمن روى عنه إسحاق بن إبراهيم الكناسي وزكريا بن يحيى الثفرى وسهل بن سوادة الغافقى ومحمد بن فيروز ومحمد بن عبد الله ابن حكيم ، قال ومات يوم عاشوراء سنة ثمان وخمسين ومائتين .

وقال الدارقطنى فى ، غرائب مالك ، حدثنا أبو بكر النقاش المصرى حدثنا محمد بن عبد الله بن حكيم بمصر حدثنا أبو غزية محمد ابن يحيى الزهرى حدثنا عبد الوهاب بن موسى حدثنى مالك عن ابن شهاب حدثنى سعيد بن المسيب حدثنى عبد الله بن عمر قال لما ولى على - فذكر قصة فيها فقال على : إن أبا بكر سبقنى إلى أربع - الحديث .

قال الدارقطنى لا يثبت عن الزهرى ولا عن مالك ، وأبو غزية هذا هو الصغير منكر الحديث .

ثم أورد من طريق على بن أحمد قال وكان ثقة حدثنا أبو غزية محمد بن يحيى حدثنى أبو العباس عبد الوهاب بن موسى بهذا السند إلى ابن عمر رفعه ، اليمين مندمة أو مأثمة ، .

وقال لا يصح هذا عن مالك ولا عن الزهرى والحمل فيه على أبى غزية انتهى .

وأما أبو غزية الكبير فهو محمد بن موسى الأنصارى المدنى

القاضى ، يروى عن مالك وفليح بن سليمان ، وعنه إبراهيم بن المنذر والزبير بن بكار وعمر بن محمد بن فليح وطائفة ، ضعفه البخارى وابن حبان [١] وأبو حاتم والعقيلى وابن عدى ، ووثقه الحاكم ، مات سنة سبع ومائتين .

وقال فى ترجمة على بن أحمد الكعبى[٢] : مصرى متهم روى عن أبى غزية عن عبد الوهاب بن موسى عن مالك عن أبى الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها حديثين.

أحدهما **(أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم لما حج مرّ بقبر أمه آمنة فسأل الله عز وجل فأحياها فآمنت فردها إلى حفرتها)** .

والثانى بهذا الإسناد **(أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان ينقل الحجارة للبيت عريانا فجاءه جبريل وميكائيل فوزراه وطفقا يحملان الحجارة عنه شفقة من الله عليه)** .

قال الدارقطنى : والإسناد والمتنان باطلان ولا يصح لأبى الزناد عن هشام عن أبيه عن عائشة شىء وهذا كذب على مالك والحمل فيه على أبى غزية والمتهم بوضعه هو أو من حدث به عنه ، وعبد الوهاب بن موسى ليس به بأس .

---

(١) وفى لسان الميزان قال البخارى عنده مناكير وقال ابن حبان كان يسرق الحديث ويروى عن الثقات الموضوعات واتهمه الدارقطنى بالوضع ا هـ.
(٢) سبق أنه على بن أيوب الكعبى وسيأتى .

وقال فى ترجمة على بن أيوب الكعبى بعد أن ساق قول « الميزان » : لا يكاد يعرف (قلت) قد عرفه الدارقطنى وسماه على بن أحمد .

وقال فى ترجمة عمر بن الربيع بن سليمان أبى طالب الخشاب بعد أن ساق قول الذهبى : ذكره الفرات[1] فى تاريخه وأنه كذاب مانصه : وضعفه الدارقطنى فى غرائب مالك وقال مسلمة بن قاسم[2] تكلم فيه قوم ووثقه آخرون وكان كثير الحديث توفى سنة خمس وأربعين وثلاثمائة بمصر.

وأورد له ابن عساكر فى « غرائب مالك » من طريق الحسين بن على بن محمد بن إسحاق الحلبى حدثنا أبو طالب عمر بن الربيع الخشاب حدثنا على بن أيوب الكعبى من ولد كعب بن مالك حدثنى محمد بن يحيى الزهرى أبو غزية حدثنى عبد الوهاب بن موسى حدثنى مالك عن أبى الزناد عن هشام بن عروة عن السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها قالت حج بنا رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فى حجة الوداع ... فذكر الحديث كما تقدم من طريق الخطيب سواء .

قال ابن عساكر هذا حديث منكر من حديث عبد الوهاب بن موسى الزهرى المدنى عن مالك والكعبى مجهول والحلبى صاحب غرائب ولا يعرف لأبى الزناد رواية عن هشام ، وهشام لم يدرك السيدة عائشة رضى الله تعالى عنهافلعله سقط من الكتابة لفظ « عن أبيه » انتهى .

---

(١) ما وجدت الفرات ولكن فى كشف الظنون ذكر تاريخ ابن الفرات ا هـ .

(٢) لعل اسم كتابه (الصلة) والله أعلم القاضى محمد شريف الدين البالمى عفى عنه .

قال الحافظ ابن حجر ولم ينبه على عمر بن الربيع ولا على محمد بن يحيى وهما أولى أن يلصق بهما هذا الحديث من الكعبى وغيره وقد تقدم ذلك فى ترجمة عبد الوهاب بن موسى وفيه إثبات قوله عن أبيه الذى ظن أنه سقط فهو كما ظن . انتهى .

هذا مجموع كلام الحافظ ابن حجر فى « لسان الميزان » فيما يتعلق بهذا الحديث ورجاله .

* * *

تلخيص وبيان لكون الحديث ضعيفاً لا موضوعاً :

وقد تلخص لى منه ومما قدمته أن الحديث غير موضوع قطعاً .

وبيـان ذلك أنه ليس فى رواته من أجمع على جرحـه فإن مـدار الحديث على أبى غزية عن عبد الوهاب وعبد الوهاب وثقه الدارقطنى فى موضعين فقال فى موضع ثقة وفى موضع ليس به بأس وأقره الحافظ ابن حجر ولم ينقل عن أحد فيه جرح ، ومن فوقه من مالك فصاعدا لا يسأل عنهم لجلالتهم والساقط بين هشام وعائشة عروة وقد ثبت فى طريق آخر ، وأبو غزية قال فيـه الدارقطنى منكر الحديث وقال ابن الجوزى مجـهول وترجمه ابن يونس ترجمة جيدة أخرجه عن حد الجهالة ، والكعبى أكثر ماقيل فيه مجهول وقد عرف ، وعمر بن الربيع نقل مسلمة توثيقه عن آخرين وأنه كان كثير الحديث .

فهذا الطريق بهذا الاعتبار ضعيف لا موضوع على مقتضى الصنعة فكيف وله متابع أجود منه وهو طريق أحمد بن يحى الحضرمى عن أبى غزية فإن هذا الطريق أجود من حيث إن طريق الكعبى فيها رجال على الولاء تكلم فيهم الحلبى وعمر بن الربيع والكعبى ، والحضرمى لم يتكلم فيه إلا بالجهالة حيث اقتصر فيه على أحمد بن يحيى وقد عرف لما نُسِبَ باللِّينِ وهى من ألفاظ التعديل الذى يحكم لحديث صاحبه بالحسن إذا توبع ولو لا تفرده به لحكمت له بالحسن . فالحـديث إذاً من إفـراد أبى غزية ومداره عليه وحكم ابن عساكر على هذا الحديث بأنه منكر حجة لما قلتـه من أنه ضـعيف لا مـوضـوع لأن المنكر من الضـعيـف وبينه وبين

الموضوع فرق كما هو معروف فى فن الحديث .

وأقوى ما اعتمد عليه فى هذا الحديث قول ابن عساكر فإن أكثر ماقيل فى رواية أبى غزية أنه منكر الحديث فيكون الحديث الذى تفرد به منكرا .

وضابط المنكر أنه الذى ينفرد به الراوى الضعيف مخالفا لرواية الثقات وهذا الحديث كذلك إن سلم مخالفته لحديث الزيارة ونحوه فإن انتفت المخالفة كان ضعيفا فقط وهى مرتبة فوق المنكر أصلح حالا منه ، ودون المنكر مرتبة أدون حالا منه وهى مرتبة المتروك والمتروك أيضا من قسم الضعيف الذى ليس بموضوع .

الكلام على حديث الزيارة وأنه معلول:

حديث الزيارة الذى حكم الذهبى بصحته [1] لم يخرجه أحد من الأئمة الستة بل أخرجه الحاكم من حديث ابن مسعود ، وأحمد من حديث بريدة والطبرانى من حديث ابن عباس ، وأشار الحافظ ابن حجر فى شرح البخارى إلى أن من حكم بصحته فليس لكونه صححه لذاته بل لوروده من هذا الطريق وقد تأملت طرق الحديث فوجدتها كلها معلولة ولله الحمد.

فأما حديث ابن مسعود فأخرجه الحاكم من طريق أيوب بن هانئ عن مسروق عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال خرج رسول الله

---

(١) راجع ص ٤

صلى الله عليه وآله وسلم ينظر في المقابر وخرجنا معه فأمرنا فجلسنا ثم تخطى القبور حتى انتهى إلى قبر منها فناجاه طويلا ثم ارتفع نحيبه باكيا فبكينا لبكائه ثم أقبل إلينا فتلقاه عمر رضي الله تعالى عنه فقال يارسول الله ما الذى أبكاك فقد أبكانا وأفزعنا فجاء فجلس إلينا فقال أفزعكم بكائى ؟ قلنا نعم قال [إن القبر الذى رأيتمونى أناجى فيه قبر آمنة بنت وهب وإنى أستأذنت ربى فى زيارتها فأذن لى فأستأذنته فى الاستغفار لها فلم يأذن لى فيه ونزل علىّ ﴿ ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ﴾ الآيتين فأخذنى ما يأخذ الولد للوالد من الرقّة فذلك الذى أبكانى] . قال الحاكم هذا حديث صحيح ، وتعقبه الذهبى فى « مختصر المستدرك » فقال أيوب بن هانئ ضعفه ابن معين انتهى .

فهذه علة تقدح فى صحته والعجب من الذهبى كيف يصحح هذا الحديث فى « الميزان » اعتمادا على تصحيح الحاكم ثم يخالفه فى « مختصر المستدرك » .

وفى الحديث علة ثانية وهى مخالفته لما فى « صحيح البخارى » وغيره أن هذه الآية نزلت بمكة عقب موت أبى طالب واستغفار النبى صلى الله عليه وآله وسلم له ووردت أحاديث أخر فى « الترمذى » وغيره فيها نزول الآية على سبب غير قصة آمنه فإن كان الذهبى رد حديث الإحياء لمخالفته هذا الحديث فهذا الحديث يرد لمخالفته المقطوع بصحته فى « صحيح البخارى » وغيره .

وأما حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فأخرجه الطبرانى

ولفظه أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم لما أقبل من غزوة تبوك واعتمر هبط من ثنية عسفان فنزل على قبر أمه وذكر نحو حديث ابن مسعود فى نزول الآية وله علتان . مخالفة الحديث الصحيح كما سبق . وإسناده ضعيف .

وأما حديث بريدة فأخرجه ابن سعد وابن شاهين بلفظ لما فتح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مكة أتى قبرا فجلس إليه وذكر نحوه . وفى لفظ آخر رواه ابن سعد وابن شاهين من طريق آخر لما قدم مكة أتى رسم قبر . وعن جرير من طريق آخر لما قدم مكة وقف على قبر أمه حتى سخنت عليه الشمس رجاء أن يؤذن له فيستغفر لها فنزلت .

وفى هذا الحديث من علة المخالفة ما تقدم . وله علة أخرى قال ابن سعد فى « الطبقات » بعد تخريجه هذا غلط وليس قبرها بمكة وقبرها بالأبواء انتهى .

فبان بهذا أن طرق الحديث كلها معلولة .

وأما قصة نزول الآية الناهية عن الاستغفار فإنه يمكن الجمع بينها وبين الأحاديث الصحيحة فى تقدم نزولها فى قصة أبى طالب وغيره .

وأصح طرق هذا الحديث ما أخرجه الحاكم وصححه على شرط الشيخين عن بريدة أن « النبى صلى الله عليه وآله وسلم زار قبر أمه فى ألف مقنّع فما رؤى باكيا أكثر من ذلك اليوم » . وهذا القدر لا علة له وليس فيه مخالفة لشىء من الأحاديث ولا نهى عن الاستغفار وقد يكون البكاء لمجرد الرقة التى تحصل عند زيارة الموتى من

غير سبب تعذيب ونحوه وهذا ما فتح الله لى بتحريره فى هذا المحل ولله الحمد .

حاصل ما تقرر فى حديث الإحياء

وحاصل ماتقرر فى حديث الإحياء : أن الذين حكموا بوضعه من الأئمة: الدارقطنى والجوزقانى وابن ناصر وابن الجوزى وابن دِحْية ، والذين حكموا بضعفه فقط وأنه غيره موضوع هم : ابن شاهين والخطيب وابن عساكر والسهيلى والقرطبى والمحب الطبرى وابن سيد الناس ، ووجه أخذه من كلام ابن شاهين أنه أورده على أنه ناسخ لحديث الزيارة فلو كان عنده موضوعا لم يصح أن يحتج به على النسخ وقد نظرنا بحسب الأصول فوجدنا العلل التى علل بها الفرقة الأولى كلها غير مؤثرة فلذلك رجحنا قول الفرقة الثانية ولله تعالى الحمد .

وقد وافق على ماقلته من أن الحديث ضعيف لا موضوع الحافظ شمس الدين بن ناصر الدين محدّث دمشق من المتأخرين فإنه أورد الحديث من طريق الخطيب[1] فى كتابه المسمى « مورد الصادى فى مولد الهادى » وأنشد عقبه .

حبا الله النبى مزيد فضل ... على فضل وكان به رءوفا
فأحيا أمه وكذا أباه ... لإيمان به فضلا لطيفا
فسلم فالقديم بذا قدير ... وإن كان الحديث به ضعيفا

(١) هو شمس الدين محمد بن ناصر الدين أبى بكر بن عبد بن محمد الدمشقى محدث دمشق وصاحب التآليف الحسنة توفى فى ربيع الآخر سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة رحمه الله تعالى .

(٢) الكلام في أن أمّه صلى الله عليه وآله وسلم كانت موحّدة

هذا كله فيما يتعلق بإحيائها وقد ظفرت بأثر يدل على أنها ماتت وهى مُوَحِّدة أخرج أبو نعيم فى ، دلائل النبوة ، من طريق الزهرى عن أم سماعة ـ بنت أبى رهم عن أمها قالت شهدت آمنة أمّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى علتها التى ماتت فيها ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم غلام يفع له خمس سنين عند رأسها فنظرتْ إلى وجهه ثم قالت :

بارك الله فيك من غلام ... يا ابن الذى من حومة الحمام
نجا بعون الملك المنعام ... فودى غداة الضرب بالسهام
بمائة من إبل سوام ... إن صح ما أبصرت فى المنام
فأنت مبعوث إلى الأنام ... من عند ذى الجلال والإكرام
تبعث فى الحل وفي الحرام ... تبعث بالتحقيق والإسلام
دين أبيك البر إبراهام ... فالله أنهاك عن الأصنام
أن لا تواليها مع الأقوام

ثم قالت رضى الله تعالى عنها (**كل حى ميت ، وكل جديد بالٍ وكل كثير يفنى . وأنا ميتة وذكرى باق وقد تركت خيرا . وولدت طهراً .**) ثم ماتت فكنا نسمع نوح الجن عليها فحفظنا من ذلك :

نبكي الفتاة البرّة الأمينة ... ذات الجمال العفة الرزينة
زوجة عبد الله والقرينة ... أمّ نبى الله ذى السكينة
وصاحب المنبر فى المدينة ... صارت لدى حفرتها رهينة[١]

(١) ذكر هذا الأثر بنصه فى رسالة مسالك الحنفا .

هذا القول من أم النبى صلى الله عليه وآله وسلم صريح فى أنها موحّدة .

ـــ إذ ذكرت دين إبراهيم .

ـــ وبعث ابنها صلى الله عليه وآله وسلم بالإسلام - من عند ذى الجلال والإكرام .

ـــ ونهيه عن عبادة الأصنام . وموالاتها مع الأقوام وهل التوحيد شيء غير هذا التوحيد والاعتراف بالله وآلهيته وأنه لا شريك له والبراءة من عبادة الأصنام ونحوها؟ .

وهذا القدر كاف فى التبرِّى من الكفر وثبوت صفة التوحيد فى الجاهلية قبل البعث وإنما يشترط قدر زائد على هذا بعد البعثة .

وقد قال العلماء فى حديث الذى أمر بنيه عند موته أن يحرقوه ويسحقوه ويُذَرُّوه فى الريح وقوله لئن قدر الله على ليعذبنى : إن هذه الكلمة لا تنافى الحكم بإيمانه لأنه لم يشك فى القدرة لكن جهل فظن أنه إذا فعل ذلك لا يعاد .

ـــ ولا يظن بكل من كان فى الجاهليه أنه كان كافرا فقد كان جماعة تحنّفوا وتركوا ما كان عليه أهل الشرك وتمسكوا بدين إبراهيم عليه السلام وهو التوحيد كزيد بن عمرو بن نُفَيل وقُس بن ساعدة وورَقة بن نَوفَل فكلهم محكوم

بإيمانهم في الحديث ومشهود لهم بالجنة .

فلا بدع أن تكون أم النبى صلى الله عليه وآله وسلم منهم كيف وأكثر من تحنّف إنما كان سبب تحنفه ما سمعه من أهل الكتاب والكهان قرب زمنه صلى الله عليه وآله وسلم من أنه قَرُب بعث نبى من الحرم صفته كذا ، وأم النبى صلى الله عليه وآله وسلم سمعت من ذلك أكثر مما سمعه غيرها . وشاهدت فى حمله وولادته من الآيات الباهرة . ما يحمل على التحنف ضرورة ورأت النور الذى خرج منها وأضاءت له قصور الشام حتى رأتها كما ترى[1] وقالت لحليمة حين جاءت به وشق صدره وهى مذعورة أخشيت عليه الشيطان كلا والله ما للشيطان عليه سبيل وإنه لكائن لابنى هذا شأن فى كلمات آخر من هذا النمط وقدمت به المدينة عام وفاتها وسمعت كلام اليهود فيه وشهادتهم له بالنبوة ورجعت إلى مكة فماتت فى الطريق .

فهذا كله مما يؤيد أنها تحنفت فى حياتها رضى الله تبارك وتعالى عنها وجعل الجنة منقلبها ومثواها ..

الجمع بين حديث أمي مع أمكما وكونها موحدة

(فإن قلت) كيف تدرك أنها كانت موحِّدة فى حياتها ومتحنفة ، وهذا الحديث فى أنه استأذن فى الاستغفار لها فلم يؤذن له ، وقوله صلى

(١) بياض فى الأصل ولعله كما فى المواهب ، وأضاءت تلك القصور من ذلك النور ، .

الله عليه وآله وسلم فى الحديث الآخر ، أمى مع أمكما ، يؤذنان بخلاف ذلك وهبك أجبت عنهما فيما يتعلق بحديث الإحياء بأنهما متقدمان فى التاريخ وذلك متأخر فكان ناسخا فماذا تقول فى هذا فإن الموت على التوحيد ينفى التعذيب البتة .

(قلت) أحسن ما يقرر به الجواب أن يقال إن قوله أمى مع أمكما (**صدر قبل أن يوحى إليه أنها من أهل الجنة كما قال صلى الله عليه وآله وسلم فى تبع لا أدرى تبعا ألعينا كان أم لا**) أخرجه الحاكم وابن شاهين من حديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن أوحى إليه فى شانه (**لا تسبوا تبعا فانه كان قد أسلم**) أخرجه الحاكم وابن شاهين فى (الناسخ والمنسوخ) أيضاً من حديث سهل بن سعد وابن عباس رضى الله تعالى عنهم . فكأنه صلى الله عليه وآله وسلم أولا لم يوح إليه فى شأنها أو لم يبلغه القول الذى قالته عند موتها أو لم يذكره فإنه كان ابن خمس سنين فاطلق القول بأنها مع أمهما جريا على قاعدة أهل الجاهلية ثم أوحى إليه أمرها بعد ذلك .

ويؤيد ذلك أن فى آخر الحديث (**ما سألتهما ربى**) فهذا يدل على أنه لم يكن يعد بينه وبين ربه مراجعة فى أمرهما ثم وقع بعد ذلك .

الجمع بين عدم الإذن بالاستغفار لأمه وكونها موحدة :

وأما حديث عدم الإذن فى الاستغفار فلا يلزم منه الكفر بدليل أنه

صلى الله عليه وآله وسلم كان ممنوعا فى أول الإسلام من الصلاة على من عليه دين لم يترك له وفاء ، ومن الاستغفار له وهو من المسلمين وعلل ذلك بأن استغفاره مجاب على الفور فمن استغفر له وصل عقب دعائه إلى منزله الكريم فى الجنة والمديون محبوس عن مقامه حتى يُقضى دينه كما فى الحديث (**نفس المؤمن معلقة بدَينه حتى يُقضى**) فتكون أم النبى صلى الله عليه وآله وسلم مع كونها متحنفة كانت محبوسة فى البرزخ عن الجنة لأمر أخر غير الكفر اقتضت أن لا يؤذن له فى الاستغفار لها إلى أن أذن الله فيه بعد ذلك .

ويحتمل أن يجاب عن الحديثين بأنها كانت موحّده غير أنها لم يبلغها شأن البعث والنشور وذلك أصل كبير فاحياها الله تعالى له حتى آمنت بالبعث وبجميع ما فى شريعته ولذلك تأخر إحياؤها إلى حج الوداع حتى تمت الشريعة ونزل ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ﴾ فاحييت حتى آمنت بجميع ما أنزل عليه وهذا معنى نفيس بليغ .

* * *

فى بيان إيمان أمهات الأنبياء عليهم السلام :

قد تأملت بالاستقراء فوجدت جميع أمهات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مؤمنات فلابد أن تكون أم النبى صلى الله عليه وآله وسلم كذلك ، وبيان ذلك يكون بالتفصيل وبالإجمال .

أما التفصيل :

ـ فأم عيسى عليه السلام مريم صدّيقة بنص القرآن ، وذهب طائفة إلى أنها نبية لذكرها فى سورة الأنبياء مقترنة بهم .

ـ وأم إسحاق سارة مذكورة فى القرآن وقيل أيضاً بنبوتها لخطاب الملائكة معها.

ـ وأم موسى وهارون عليهما السلام مذكورة أيضا فى القرآن وقيل أيضا بنبوتها لقوله تعالى : ﴿ وأوحينا إلى أم موسى ﴾ .

ـ وأم شيث حواء أم البشر مذكورة فى القرآن وقيل بنبوتها

ـ ووردت الأحاديث والآثار بإيمان هاجر أم إسماعيل ، وأم يعقوب ـ وأمهات أولاده ـ وأم داود ـ وسليمان ـ وزكريا ـ ويحيى ـ وشمويل ـ وشمعون وذى الكفل ـ صلاة الله وسلامه عليهم أجمعين .

ونص بعض المفسرين على إيمان أم نوح عليه السلام لقوله ﴿ رب اغفرلى ولوالدى ﴾ ذكر الكرمانى فى هذه الآية عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال لم يكفر لنوح والد بينه وبين آدم عليهما السلام ثم حكى قولا غريبا أنهما كانا كافرين .

(قلت) الصواب الأول والأثر المذكور أخرجه ابن سعد عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال (ما بين نوح إلى آدم من الآباء كانوا على الإسلام) ونص جماعة على إيمان أم إبراهيم عليه السلام ورجحه ابن حبان فى « البحر » فى تفسير سورة إبراهيم واسمها نوماء من ولد

أرفخشد ابن سام بن نوح عليه السلام حكاهما ابن سعد فى الطبقات .

وأما الإجمال:

فأخرج الحاكم فى « المستدرك » وصححه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كانت الأنبياء من بنى إسرائيل الا عشرة نوح - وهود - وصالح - ولوط - وشعيب - وإبراهيم - وإسماعيل - وإسحاق - ويعقوب - ومحمد عليهم السلام، وبنو إسرائيل كلهم كانوا مؤمنين لم يكن فيهم كافر إلى أن بعث الله عيسى عليه السلام فكفر به من كفر فأمهات الأنبياء الذين من بنى إسرائيل كلهن مؤمنات ولم يبعث بعد عيسى أحد فى الأمم .

أما العشرة فقد ثبت إيمان أم اسماعيل - وإسحاق - ويعقوب - وذكر إيمان أم نوح - وإبراهيم - وبقى أم هود - وصالح - ولوط - وشعيب يحتاج إلى نقل أو دليل والظاهر إن شاء الله تعالى إيمانهن .

فقد ثبت بهذا الاستدلال إيمان الجميع وكان السر فى ذلك ما يَرَيْنَه من النور كما ورد فى الحديث وكذلك أمهات المؤمنين يرين .

فى أن أمه صلى الله عليه وآله وسلم من أهل الفترة فهى ناجية :

قد عرف مما ذكرناه دليلان على أن أم النبى صلى الله عليه وآله وسلم ليست فى النار، كونها متحنفة، وإحياؤها حتى آمنت فيضم إلى ذلك دليل ثالث وهو كونها من أهل الفترة والأحاديث فى أهل الفترة معروفة مشهورة قال الله تعالى: ﴿ **وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا** ﴾.

وقد أورد صاحب « مرآة الزمان »[1] كلام جده ابن الجوزى على الحديث السابق ثم قال عقبه وقال قوم : قد قال الله تعالى ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾ والدعوة لم تبلغ أباه وأمه فما ذنبهما .

دليـل رابع على نجاتها

(ودليل رابع) وهو ما ثبت فى الصحيحين أن أبا لهب رؤى فى النوم فقال لم ألق بعدكم خيراً غير أنى سقيت فى هذه لعتاقتى ثويبة . وثويبة . مولاة لأبى لهب كان أبو لهب أعتقها وكانت أرضعت النبى صلى الله عليه وآله وسلم فإذا سقى أبو لهب وأعتق منه هذا القدر من النار مع شدة عداوته للنبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم وشدة ما لقى منه لكونه أعتق من أرضعته فما ظنك بمن حملته فى بطنها تسعة أشهر وأرضعته أياما وربته سنين وهى أمه .

دليـل خامس على نجاتها

(ودليل خامس) ـ كما فى لسان الميزان فى ترجمة يحيى بن الحسين العلوى ذكره الجوزقانى فى كتاب الأباطيل ـ فقال اخبرنا محمد بن الحسن بن محمد الواعظ قال أخبرنا أبو الحسين يحيى بن الحسين بن اسماعيل الحسنى اخبرنا محمد بن على بن الحسين بن على الحسنى . حدثنا زيد بن حاجب . حدثنا محمد بن عمار العطار . حدثنى على بن محمد الغطفانى . حدثنا محمد بن هارون العلوى حدثنى محمد بن على بن حمزة العباسى حدثنى أبى حدثنى على بن موسى بن جعفر بن محمد بن

(١) فى كشف الظنون مرآة الزمان فى تاريخ الاعيان فى أربعين مجلدا للشيخ أبى المظفر يوسف بن قزأوغلى المعروف بسبط ابن الجوزى المتوفى سنة أربع وخمسين وستمائة رحمه الله تعالى.

على بن الحسين بن على . حدثنى أبى موسى عن أبيه جعفر بن محمد عن أبيه محمد عن أبيه على بن الحسن عن أبيه الحسين عن أبيه على بن أبى طالب رفعه قال هبط علىّ جبريل عليه السلام فقال (**إن الله يقرئك السلام ويقول حرمت النار على صلب أنزلك . وبطن حملك . وحجر كفلك**) أما الصلب فعبد الله . وأما البطن فآمنة وأما الحجر فعمه يعنى أبا طالب وفاطمة بنت أسد . قال الجوزقانى هو حديث موضوع وفى إسناده غير واحد من المجهولين ويحيى بن الحسين رافضى غال ا هـ .

قلت: فاطمة بنت أسد آمنت وصحبت وهاجرت رضى الله تعالى عنها .

الرد على من يقطع بأن الأبوين ليسا من أهل الجنة

والعجب ممن يقطع بكون أبوى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى النار اعتماداً على قوله « أمى مع أمكما » وقوله « إن أبى وأباك فى النار » ونحوهما من الأحاديث ويلغى ما عارضهما بالكلية .

القول بأن أطفال المشركين في الجنة:

وللمسألة نظير صحيح للناس فيه خلاف وهو مسألة أطفال المشركين فقد ورد فى أحاديث كثيرة الجزم بأنهم فى النار ، وفى أحاديث قليلة أنهم فى الجنة وصحح الجمهور هذا ، منهم النووى وقال إنه المذهب الصحيح المختار الذى صار اليه المحققون لقوله تعالى ﴿ وما كنا معذبين

حتى نبعث رسولا ﴾ وإذا كان لا يعذب البالغ لكونه لم تبلغه الدعوة فغيره أولى هذا كلام النووى ، وذكر غيره أن أحاديث كونهم فى النار منسوخة بأحاديث كونهم فى الجنة .

ويوضح النسخ ما أخرجه ابن عبد البر عن السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها قالت سألت السيدة خديجة رضى الله تعالى عنهارسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن أولاد المشركين فقال « هم من آبائهم ، ثم سألته بعد ذلك فقال « الله أعلم بما كانوا عاملين » ثم سألته بعدما استحكم الاسلام فنزلت ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ فقال إنهم على الفطرة أو قال فى الجنة . فهذا يدل على النسخ .

(وكذا القول) فى الأحاديث التى وردت فى أن أبوى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى النار كلها منسوخة إما باحيائهما وإيمانهما وإما بالوحى فى أن أهل الفترة لا يعذبون.

القول بأن أطفال المشركين في المشيئة

ومن جملة الأقوال فى الأطفال أنهم فى مشيئة الله تعالى لا يحكم عليهم بشىء .

وهذا هو المنقول عن الشافعى الائمة لحديث الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم سئل عن أطفال المشركين فقال « الله أعلم بما كانوا عاملين » ومعناه أن من علم الله منه الإيمان لو عاش أدخله الجنة ومن علم منه الكفر لو عاش أدخله النار.

(وكذا يقال) فى أبوى النبى صلى الله عليه وآله وسلم . والظن بهما أنهما لو عاشا إلى بعثه لبادرا إلى الإيمان به مسرعين فيكونان من أهل الجنة .

القول بالامتحان في الآخرة لأطفال المشركين وأهل الفترة ونحوهم:

(ومن) جملة الأقوال فى الأطفال أنهم يمتحنون فى الآخرة فمن أطاع أدخله الله الجنة ومن عصى أدخله النار وصححه البيهقى وهذا بعينه وردت به الأحاديث الصحيحة فى أهل الفترة .

أخرج البزار وأبو يعلى عن أنس رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم **(يؤتى بأربعة يوم القيامة بالمولود - والمعتوه - ومن مات فى الفترة - والشيخ الفانى - كلهم يتكلم بحجته فيقول الله تعالى لعُنُق[1] من النار أبرز لهم ويقول لهم إنى كنت أبعث إلى عبادى رسلا من أنفسهم وإنى رسول نفسى إليكم ادخلوا هذه فيقول من كتب عليه الشقاء يارب أتُدْخِلُنَاهَا ومنها كنا نَفِرُّ ، ومن كتب له السعادة يمضى فيقتحم فيها مسرعا فيقول الله قد عصيتمونى فانتم لرسلى أشد تكذيبا ومعصية فيدخل هؤلاء الجنة وهؤلاء النار).**

وأخرج أحمد وابن راهُوَيه فى مسنديهما والبيهقى فى ، كتاب الاعتقاد ،[2] وصححه عن الأسود بن سريع عن أبى هريرة رضى الله

(١) أى قطعة .
(٢) كتاب الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد للإمام أبى بكر أحمد بن الحسين البيهقى المتوفى سنة ثمان وخمسين وأربعمائة .

تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال ، أربعة يحتجون يوم القيامة رجل أصم لا يسمع شيئا ورجل أحمق - ورجل هرم ورجل مات فى فترة - إلى أن قال وأما الذى مات فى الفترة فيقول رب ما أتانى لك رسول فيأخذ مواثيقهم ليطيعنَّه فيرسل إليهم أن ادخلوا النار فمن دخلها كانت عليه برداً وسلاما ومن لم يدخلها يُسحب إليها ،.

وأخرج البزار عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، تؤتى بالهالك فى الفترة والمعتوه والمولود فيقول الهالك فى الفترة لم يأتنى كتاب ولا رسول ويقول المعتوه أى رب لم تجعل لى عقلا أعقل به خيرا ولا شرا - ويقول المولود رب لم أدرك العمل - فترفع لهم نار فيقال لهم ردُوها فيردها من كان فى علم الله سعيدا لو أدرك العمل ويمسك عنها من كان فى علم الله شقيا لو أدرك العمل ، .

وأخرج البزار عن ثوبان رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال ، إذا كان يوم القيامة جاء أهل الجاهلية يحملون أوثانهم على ظهورهم فيسألهم ربهم فيقولون ربنا لم ترسل إلينا رسولا ولم يأتنا لك أمر ولو أرسلت إلينا رسولا لكنا أطوع عبادك فيقول لهم ربهم أرأيتم إن أمرتكم بأمر أتطيعوننى ، وذكر نحو ما تقدم .

وأخرج الطبرانى وأبو نعيم من حديث معاذ بن جبل رضى الله

عنه مثله .

وفى الباب أحاديث أخر وهذه الأحاديث هى العمدة فى المسألة[1] وكلُّ ما شابهها ، وعليها بنى الفقهاء أصولهم ومذاهبهم فى أنه لا يحكم على أحد معين من أهل الفترة أنه فى النار بل هو فى مشيئة الله موقوف على الامتحان وقد صرح فى حديث ثوبان بجريان هذا الحكم فى أهل الجاهلية عبدة الأوثان فمن لم يثبت عنه عبادة لها فهو من باب أولى ، وأبَوا النبى صلى الله عليه وآله وسلم لم يثبت عنهما ما ثبت من أهل الجاهلية من عبادة الاوثان بل ولا ثبت ذلك من أحد من أصوله بل ثبت أو كاد يثبت انتفاؤه عن جميع أجداده كما سيأتى الإشارة إليه .

ويؤخذ من هذه الأحاديث الرد على ابن دحية فى كلامه السالف عنه وقوله إن الإيمان بعد الموت لا ينفع ، فإذا كان الإيمان ينفع أهل الفترة فى الآخرة التى ليست بدار تكليف وقد شاهدوا جهنم بشهادة هذه الأحاديث فلأَنْ ينفعهما[2] بالإحياء فى الدنيا من باب أولى ، وعلى تقدير عدم ثبوت إحيائهما فى الدنيا فالظن بهما عند الامتحان فى الآخرة أن يطيعا ويهديهما الله لتقرَّ بذلك عينُ النبى صلى الله عليه وآله وسلم .

فى نكتة لطيفة في آية ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾

ظهر لى نكتة لطيفة جدا فى قوله تعالى ﴿ **ولا تزر وازرة وزر أخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا** ﴾ حيث قرن بين هاتين

(١) أى فى مسألة أهل الفترة وامتحانهم فى الآخرة .
(٢) أى أبوى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم .

الجملتين فإن الأولى متعلقة بأطفال المشركين اعتمد عليها النبى صلى الله عليه وآله وسلم حين نزلت وأخبرهم بأنهم فى الجنة بعد إخباره بأنهم فى النار كما تقدم فى حديث السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها ، والثانية متعلقة بأهل الفترة ، وهم والأطفال مشتركون فى عدم التعذيب لأمرين .

أحدهما: عدم بلوغ الدعوة لعدم العقل المدرك لها فى الاطفال وانتفائها بالكلية وعدم ورودها فى أهل الفترة .

والثانى عدم التكليف لعدم شرطه وهو البلوغ فى الاطفال وورود الشرع فى أهل الفترة إذ لا حكم قبل البعثة .

فلهذا قرنت الجملتان وذلك من بدائع أسرار القرآن * ولهذا اعتمد النبى صلى الله عليه وآله وسلم على الجملة الثانية فى الحكم على أهل الفترة بأنهم يمتحنون فى الآخرة ولا يبادرون بالعذاب بعد إخباره بما يقتضى أنهم فى النار ابتداء فكان الإخبار أولا فى الفريقين على حد سواء والنازل فيهما جملتان مقترنتان والإخبار ثانيا متحد عنهما أيضا وهو أنهم لا يعذبون .

وقد صححه النووى والمحققون فى الأطفال وذهب آخرون إلى أنهم يمتحنون وجزم به أهل السنة قاطبة فى أهل الفترة .

فوجب انتفاء التعذيب عن أبوى النبى صلى الله عليه وآله وسلم بما جزموا به بالامتحان فى أهل الفترة ، وجرى فى الاطفال خلاف وصح كونهم فى الجنة لاجل مزية البلوغ والعقل فى أولئك .

ويدل لكون النبى صلى الله عليه وآله وسلم إنما حكم على أهل الفترة بالامتحان ورفع العذاب اعتمادا على هذه الآية ما أخرجه عبد الرزاق وابن جرير وابن أبى حاتم وابن المنذر فى تفاسيرهم بسند صحيح عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال ، **إذا كان يوم القيامة جمع الله أهل الفترة والمعتوه والأصم والأبكم والشيوخ الذين لم يدركوا الإسلام ثم يرسل اليهم رسولا فيطيعه من كان يريد أن يطيعه ثم قال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه اقرءوا إن شئتم ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾** إسناده على شرط الشيخين ومثله لا يقال من قبل الرأى فله حكم الرفع .

فى مذهب أهل السنة فيمن هو قبل الدعوة

قال أهل الأصول قاطبة ، شكر المنعم ليس بواجب عقلا خلافا للمعتزلة ، قال إلكيا الهراسى وغيره المراد بشكر المنعم امتثال الأوامر واجتناب النواهى من الكفر وغيره .

وقال ابن السبكى فى ، شرح مختصر ابن الحاجب ، وذهب بعض أصحابنا إلى موافقة المعتزلة كابن شريح والصيرفى والقفال الكبير وابن أبى هريرة والقاضى أبى حامد وقد اعتذر القاضى أبو بكر الباقلانى فى ، التقريب ، . والاستاذ أبو إسحاق فى أصوله . والشيخ أبو حامدالجوينى فى ، شرح الرسالة ، عمن وافق المعتزلة من أصحابنا بأنهم لم تكن لهم قدم راسخة فى الكلام وربما طالعوا كتب المعتزلة فاستحسنوا هذه العبارة وهى شكر المنعم واجب عقلا فذهبوا إليها غافلين من تشعبها عن أصل المعتزلة

مع علمنا بأنهم ما اقتحموا مسالكهم وما تبعوا مقاصدهم ، قال ابن السبكى وهو كلام حق بالنسبة إلى من عدا القفال الكبير أما القفال فكان إماما فى الكلام مقدما إلا أنه كان أول أمره معتزليا فقال هذه المقالة ثم لما رجع عن الاعتزال لابد أن يكون رجع عن ذلك .

قال ابن السبكى وعلى مسألة شكر المنعم تتخرج مسألة من لم تبلغه الدعوة فعندنا يموت ناجيا ولا يقاتل حتى يدعى إلى الإسلام وهو مضمون بالكفارة والدية ولا يجب القصاص على قاتله على الصحيح إذ هو ليس بمسلم انتهى كلامه .

وهو صريح فى نجاته وأنه لا يدخل النار وأنه يدخل الجنة مع كونه لا يسمى مسلما [١] .

فى كلام الأصوليين فى قاعدة وجوب شكر المنعم

أورد الزركشى فى (شرح جمع الجوامع) لقاعدة أن شكر المنعم ليس بواجب عقلا ثلاثة أدلة من القرآن . قوله تعالى ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾ وقوله تعالى ﴿ ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون ﴾ أى لم يأتهم الرسل والشرائع . وقوله تعالى ﴿ ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين ﴾ .

(قلت) أخرج ابن أبى حاتم فى تفسيره عند هذه الآية الأخيرة عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الهالك

(١) هنا بياض فى الأصل .

فى الفترة يقول رب لم يأتنى كتاب ولا رسول ثم قرأ هذه الآية ﴿ ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين ﴾ إسناده حسن .

(ومن الآيات) الواردة فى هذا قوله تعالى ﴿ وما كان ربك مُهلِكَ القُرى حتى يبعث فى أُمها رسولا يتلو عليهم آياتنا وما كنا مهلكِى القُرَى إلا وأهلها ظالمون ﴾ وقوله تعالى : ﴿ ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نَذِلَّ ونخزَى﴾ .

أخرج ابن أبى حاتم عند هذه الآية عن عطية العوفى قال الهالك فى الفترة يقول رب لم يأتنى كتاب ولا رسول وقرأ ﴿ ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ﴾ إلى آخر هذه الآية وقوله تعالى ﴿ وهم يصْطَرِخُون[1] فيها ربَّنا أَخْرجنا نعملْ صالحا غير الذى كنا نعمل أولَمْ نعمِّركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير ﴾ .

وأخرج ابن أبى حاتم عن قتادة فى هذه الآية قال احتج عليهم بالعمر والرسل وقوله تعالى ﴿ رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾.

وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عن السُّدّى فى هذه الآية ﴿ لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾ قال فيقولون ما أُرسلت إلينا رسولا .

* * *

---

(١) يصيحون مستغيثين .

العرب غير مكلفين بشريعة موسى وعيسى

وأهل الفترة منهم من لم تبلغهم دعوة رسول لهم قبل البعثة :

(فإن قلت) كيف يكون حكم أهل الفترة حكم من لم تبلغه الدعوة وحكم ماقبل البعثة وقد كانت شريعة موسى وعيسى عليهما السلام إذ ذلك موجودة .

(قلت) دلت الأدلة على أن العرب لم يكونوا مخاطبين بها ولا مكلفين باتيانها ولهذا وردت الأحاديث في الهالك فى الفترة صريحة ولو كان المراد بما قبل البعثة أن لا يكون بعث رسول فى الدنيا أصلا لاستحال وجود ذلك إذ ما من فترة إلا وقبلها نبى إلى آدم عليه السلام وهو أول الأنبياء وليس قبل آدم بشر والقرآن أيضا ناطق بذلك قال الله تعالى ﴿ وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وإنْ كنّا عن دراستهم لغافلين ﴾ .

وأخرج ابن أبى حاتم وابن المنذر وأبو الشيخ عن مجاهد فى قوله تعالى ﴿ أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وإنْ كنا عن دراستهم لغافلين ﴾ قال اليهود والنصارى خاف أن تقوله قريش .

وبهذا القول يندفع ما وقع فى شرح مسلم فى حديث ، إن أبى وأباك فى النار ، من قوله إن أهل الجاهلية لا يجرى عليهم حكم من لم تبلغه الدعوة لتقدم دعوة إبراهيم وغيره من الأنبياء كيف وفى الحديث السابق من رواية ثوبان إذا كان يوم القيامة جاء أهل الجاهلية يحملون أوثانهم على ظهورهم وذكر بقية الحديث فى الامتحان . فهذا نص فى

المسألة وبقية الحديث شاهدة على الهالك فى الفترة ما بين النبيين واشتهرت لما بين عيسى والنبى صلى الله عليه وآله وسلم ، وإذا لم يكن أهل الفترة هم الذين لم تبلغهم الدعوة فليت شعرى مَنْ هم ؟ وقد قال الرافعي فى الروضة [1] من لم تبلغه دعوة نبينا عليه السلام لا يجوز قتله قبل الإعلام والدعاء إلى الإسلام فلو قتل كان مضمونا قطعا وكيف يضمن من قَتَل من بلغته الدعوة فلم يؤمن .

(أما الكفارة) فتجب بلا تفصيل .

ثم له ثلاثه أَحوال ، أحدها ، أن لا تكون بلغته دعوة نبى أصلا فلا قصاص على الصحيح وأوجبه القفال وهل تجب دية مجوسى أو مسلم؟ وجهان أصحهما الأول ، والثانى ، أن يكون مستمسكا بدين لم يبدل ولم يبلغه ما يخالفه فلا قصاص على الأصح : وقيل تجب دية مسلم أو تجب دية أَهل ذلك الدين وجهان أصحهما الثانى . و ، الثالث ، . أن يكون مستمسكا بدين لحقه التبديل لكن لم يبلغه ما يخالفه فلا قصاص قطعا وتجب دية مجوسي فى الأصح انتهى .

وهل يمكن أن يوجد فى أطراف الأرض من لم يبلغه أن الله بعث نبيا أصلا من لدن آدم وبعثة أنبياء الله تعالى ووقائعهم مشهورة ولو لم تكن إلا بعثة نوح وإقامته ألفَ سنة إلا خمسين عاما والطوفان الذى غرَّق أهل الأرض جميعاً [لكفى] فلو اعتبرنا مطلق وجود بعثة الأنبياء عليهم السلام لاستحال وجود من لم تبلغه الدعوة ولسقطت الأحاديث والآثار

(١) الروضه فى فروع الشافعية الإمام عبد الكريم الرافعي القزوينى المتوفى سنة ثلاث وعشرين وستمائة رحمه الله تعالى .

الواردة فى أهل الفترة بأسرها على كثرتها وصحتها ولحكم عليهم جميعاً بأنهم فى النار من غير امتحان ، وفى هذا إلغاء وردٌ للأحاديث الثابتة الصحيحة .

زيادة إيضاح لما تقدم:

(فإن قلت) لم يتضح لى هذا كل الاتضاح فزدنى بيانا بوجهه (قلت) وجهه مجموع أمور طول المدة من لدن بعثة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام فإنه لم يبعث فى العرب نبى بعد اسماعيل ، وحدوث التغيير فى دينهما ، وتمادى الزمان عليه ، وفقد من ينقل شريعتهما على وجهها ، وتدارك القرون قرنا بعد قرن مستمسكين بذلك المغير حتى نشأ قوم فلم يجدوا إلا ذلك ولم يسمعوا بحقيقة دين إبراهيم على وجهه ولا وجدوا من يخبرهم به فهم يصدق عليهم أنهم لم تبلغهم الدعوة. ولهذا استنكروا ما جاء به النبى صلى الله عليه وآله وسلم وتعجبوا منه ونسبوه إلى أنه أتى بدين محدث لا يعرف ، وقالوا إن هذا لشىء عجاب ما سمعنا بهذا فى الملة الآخرة ، وقالوا إنّا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون . ولو كان عندهم علم بدعوة الأنبياء عليهم السلام على ماهى عليه لعرفوا أن دعوة النبى صلى الله عليه وآله وسلم من نمط دعوتهم فلهذا أسلم كثير من العرب لما سمع من أهل الكتاب الشهادة له بالتصديق ولم يكن كفرهم إنكارا للصانع ولا لألوهيته ولا ادعوا فى الأصنام أنها تخلق وتدبر كما ادعى نمرود وقومه بل كانوا يقرون لله بالآلهية وأنه الخالق المدبر كما قال الله تعالى ﴿ **ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله** ﴾ وكانوا يزعمون فى الأصنام أنها تشفع لهم عند الله كما قال تعالى حكاية عنهم ﴿ ما نعبدهم

إلا ليقربونا إلى الله زلفى ﴾ وكانوا يقولون فى تلبيتهم لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك . كما قال الله تعالى ﴿ وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ﴾ .

فعرف بذلك أن كفرهم كفر إشراك لا كفر إنكار لوجود الصانع وإن ذلك صادر عن الجهل بما جاءت به الأنبياء والرسل عليهم السلام وعدم بلوغه لهم على وجهه .

ويوضح ذلك قوله تعالى ﴿ يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل.أن تقولوا ماجاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير ﴾ فإذا كان الله أعذر أهل الكتاب بأن بعث رسولا إليهم به بعد الفترة بين لهم ما بدله الأحبار وكتموه لئلا يحتجوا بقولهم ماجاءنا من بشير ولا نذير وهم كانوا أهل الكتاب عالمين بشريعة موسى عليه السلام فى الجملة غير أنهم تمسكوا بما لحقه التبديل لكونهم قلدوا فيه أسلافهم ولم يكونوا اهلا لتمييز الحق من الباطل فما ظنك بالعرب الأميين الذين ليسوا أهل الكتاب ولا يدركون ما الكتاب .

تنبيــه

فيما يفهم من كلام النووى فى شرح مسلم

الذى عندى أنه لا ينبغى أن يفهم من قول النووى فى « شرح مسلم » فى حديث أن رجلا قال يارسول الله اين أبى قال فى النار فلما قفا دعاه فقال إن أبى وأباك فى النار : فيه أن من مات فى الفترة على ما كانت عليه العرب من عبادة الأوثان فهو من أهل النار وليس فى هذا مؤاخذة قبل بلوغ الدعوة فإن هؤلاء كانت بلغتهم دعوة إبراهيم عليه السلام وغيره من الأنبياء ـ أنه أراد بذلك الحكم على أبى النبى صلى الله عليه وآله وسلم بل ينبغى أن يفهم انه أراد الحكم على أبى السائل وكلامه ساكت عن الحكم على الأب الشريف[1] .

بيان أن حديث مسلم معلول بعلتين

ظهر لى فى حديث إن أبى وأباك فى النار ، علتان .

« **إحداهما** » من حيث الاسناد وذلك أن الحديث أخرجه مسلم وأبو داود من طريق حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس رضى الله عنه أن رجلا

---

(١) عبارة النووى ظاهرة فى غير ما ذكره السيوطى والظاهر أن النووى يقصد من مات فى الفترة من العرب عابدا الوثن فهو فى النار لبلوغ دعوة إبراهيم وغيره إليه . فيقال له هذا صحيح فيمن بلغته الدعوة ولكن من لم تبلغه دعوة إبراهيم وإسماعيل فهو معذور وليس من أهل النار وقد ثبت أن موسى وعيسى لم يرسلا إلى العرب فافهم

قال يارسول الله أين أبى قال فى النار فلما قفا دعاه فقال إن أبى وأباك فى النار ، وهذا الحديث تفرد به مسلم عن البخارى وفى إفراد مسلم أحاديث تكلم فيها يوشك أن يكون هذا منها .

(أما أولا) فثابت وإن كان إماما ثقة فقد ذكره ابن عدى فى ، كامله ، فى الضعفاء وقال إنه وقع فى أحاديثه نكرة وذلك من الرواة عنه فانه روى عنه الضعفاء واورده الذهبى فى ، الميزان ، .

(وأما ثانيا) فحماد بن سلمة وإن كان إماما عابدا عالما فقد تكلم جماعة فى روايته وسكت البخارى عنه فلم يخرج له شيئا فى صحيحه .

وقال الحاكم فى ، المدخل ، ما أخرج مسلم لحماد بن سلمة فى الأصول إلا حديثا عن ثابت وقد خرج له مسلم فى الشواهد عن طائفة .

وقال الذهبى حماد ثقة له أوهام وله مناكير كثيرة وكان لا يحفظ فكانوا يقولون إنها دست فى كتبه وقد قيل أن ابن أبى العرجاء كان ربيبه وكان يدس فى كتبه .

ومن مناكيره مارواه عن ثابت عن أنس رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قرأ ﴿ **فلما تجلى ربه للجبل** ﴾ . قال أخرج طرف خنصره وضرب على إبهامه فساخ الجبل ، هذا الحديث أخرجه أحمد والترمذى والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم وأورده ابن الجوزى فى الموضوعات وقال إنه لا يثبت وأنه مما دسه ربيبه عليه والمناكير فى رواية حماد كثيرة .

وإنما أوردت هذا لأنه بسند الحديث الذى نحن فى تعليله ، ومن أنكر رواياته ما رواه عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما مرفوعا رأيت ربى جعْداً أمرد عليه خضر، وهذا أيضاً أورده ابن الجوزى فى الموضوعات .

فبان بهذا أن الحديث المتنازع فيه لابد أن يكون منكرا وقد وُصِفت أحاديث كثيرة فى مسلم بانها منكرة .

، **العلة الثانية** ، من حيث المتن وهى مبنية على مقدمة وذلك أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا سأله اعرابى وخاف من إفصاح الجواب له فتنته واضطراب قلبه أجابه بجواب فيه تورية وايهام كالحديث الذى أخرجه البخارى أنه صلى الله عليه وآله وسلم سأله رجل عن الساعة فنظر إلى أحدث القوم سِناً فقال إن يستنفد هذا عمره لم يمت حتى تقوم الساعة .

قال قال العلماء كان الأعراب يسألونه كثيرا عن الساعة فخشى صلى الله عليه وآله وسلم من قوله لا أعلمها فتنتهم وشكهم فأجابهم بجواب فيه تورية ، ومراده إنْ بلغ هذا الغلام أقصى العمر لم يمت حتى تقوم على الحاضرين ساعتهم بأن يموتوا وقيام ساعة كل واحد موته .

إذا عرف ذلك فالذى عندى فى هذا الحديث ، إن أبى وأباك فى النار ، ليس رواية باللفظ بل رواها الراوى بالمعنى فوهم ذلك وإنما تكلم النبى صلى الله عليه وآله وسلم بكلام مورًى ففهم منه السامع ما قاله .

---

(١) أى الذى فى الطريق الاخر.

وقد وضح لنا من ذلك طريق آخر للحديث رواه معمر عن ثابت فلم يذكر أن أبى وأباك فى النار وهذا اللفظ [1] لادلالة فيه على والده صلى الله عليه وآله وسلم بأمره ألبته وهو أثبت من حيث الرواية فإن معمرا لم يتكلم فى حفظه ولا استنكر شىء من حديثه واتفق على التخريج له الشيخان فكان لفظه أثبت ثم وجدنا الحديث ورد من حديث سعد بن أبى وقاص بمثل لفظ رواية معمر عن ثابت عن أنس فقد أخرج البزاز فى « مسنده » والطبرانى فى « المعجم الكبير » بسند رجاله رجال الصحيح عن سعد بن أبى وقاص رضى الله تعالى عنه أن أعرابيا أتى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال « **يارسول الله أين أبى قال فى النار قال فاين أبوك قال حيث مررت بقبر كافر فبشره بالنار** » وهذا حديث صحيح وفيه فوائد .

منها : بيان أن السائل كان اعرابيا وهو مظنة خشية الفتنة والردة .

منها : بيان جواب فيه إيهام وتورية إذ لم يصرح فيه بأن الأب الشريف فى النار إنما قال حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار ، وهذه جملة لا تدل بالمطابقة على ذلك إنما قد يفهم منها ذلك بحسب السياق والقرائن وهذا شأن التورية والايهامات فكره صلى الله عليه وآله وسلم أن يفصح له بحقيقة الحال ومخالفة أبيه لأبيه فى المحل الذى هو فيه خشية ارتداده لما جبلت عليه النفس من كراهة الاستئثار عليها . ولما كانت عليه الاعراب من غلظ القلوب والجفاء فأورد له جوابا موهما تطيبيا لقلبه فكانت هذه الطريق من طرق الحديث فى غاية الاتقان ولهذا قال بعض الحفاظ لو لم نكتب الحديث من ستين وجها ما عقلناه يعنى اختلاف الرواة فى إسناده

وألفاظه .

وقد وقع فى الصحيحين أحاديث كثيرة من هذا النمط وهم فيها الرواة فى بعض الألفاظ فبينها النقاد ، منها ، حديث مسلم فى نفى قراءة البسملة وقد أعله الشافعى بذلك وقال إن الثابت من طريق آخر نفى سماعها ففهم منه الراوى نفى قراءتها فرواه بالمعنى على ما فهمه فى أشياء أخرى مبينة فى كتب الحديث .

فبان بهذا تعليل الحديث من هذه الحيثية ولا يكون ذلك قد حافى صحة الحديث من أصله بل فى هذا اللفظ فقط وكذلك حديث أمى مع أمكما ، على ضعف إسناده لا يلزم منه كونها فى النار لجواز أن يكون أراد بالمعية كونها معها فى دار البرزخ أو غير ذلك تورية وإيهاما تطييبا لقلوبهما .

إشكال وجوابه في حديث إن أب السائل في النار

(فإن قلت) قد تقرر أن أهل الفترة لا يقضى عليهم بكونهم فى النار حتى يمتحنوا فكيف حكم النبى صلى الله عليه وآله وسلم على أب السائل بأنه فى النار .

(قلت) ظهر لى عن ذلك أربعة أجوبة :

(**الأول**) أن هذا الحديث متقدم على الأحاديث الواردة فى أهل الفترة فيكون منسوخا بها كما أخبر أولا عن أطفال المشركين بأنهم فى النار

ثم نسخ ذلك .

(**الثانى**) أنا لم نقطع بعدم النار فى أهل الفترة بل قلنا يمتحنون فمن أطاع دخل الجنة ومن لا دخل النار ، فيمكن أن يكون النبى صلى الله عليه وآله وسلم أطلع فى حق هذا بخصوصه على أنه يعصى عند الامتحان فيدخل النار وأوحى إليه بذلك فحكم بأنه من أهل النار .

(**الثالث**) أنه يمكن فى هذا الرجل أنْ يكون ممن دخل يثرب والشام واجتمع بأهل الكتاب وبلغته دعوة موسى وعيسى عليهما السلام وأصر على الشرك فلم يعذر .

(**الرابع**) أنه يمكن أن يكون عاش حتى أدرك بعثة النبى صلى الله عليه وآله وسلم وبلغه ذلك وأصرَّ ومات فى عهده وهذا لا عذر له ألبتة .

(**فإن قلت**) فأبوا النبى صلى الله عليه وآله وسلم قد دخلا يثرب واجتمعا باليهود فلزمهما ما قلت فى الجواب الثالث .

(**قلت**) الجواب عنهما من ثلاثة أوجه :

(**الأول**) أنه يحتاج إلى ثبوت أن اليهود دعوهما إلى الدين وهذا لم ينقل فنحكم عليهما خصوصا أنهما لم يقيما بالمدينة إلا أياما قلائل لا تسع ذلك . أما عبد الله فأنه مرَّ بها فى سفره إلى الشام ورجع فدخلها وهو مريض فأقام بها شهرا مريضا ومات وهذه المدة مع المرض لا تسع اجتماعا بأحد ولا سؤالا عن دين وأما آمنة فقدمت المدينة زائرة لأقاربها فأقامت بها أيضا شهرا ومعها النبى صلى الله عليه وآله وسلم فرجعت

فماتت بالطريق .

(الثانى) أن نقول أىُّ مانع من أن يكون قد دعيا إلى الدين فأجابا وإن لم ينقل الأمران وكيف ينسب إليهما الامتناع وقد بُشِّرَا من أهل الكتاب والكهانة وغيرهم بنبوة ولدهما قبل ولادته وصدقا بذلك وبشرا به وبشرتْ به أمه قبل ولادته وعند ولادته وبعد ولادته وصدقت بذلك وقالت الأبيات السابقة عند موتها وهل ينسب إليها الشرك وقد أخبرت عن ولدها أنه يبعث رسولا عن الله بالتوحيد وكسر الأصنام وصدُقت بذلك وهل الإسلام شيء غير هذا التصديق .

(الثالث) أنا ندعى أنهما كانا من أول أمرهما على الحنيفية دين إبراهيم عليه السلام وأنهما لم يعبدا صنما قط وسنقرر ذلك قريبا بأدلة .

تذنيب

من اللطائف فى أمرهما أنهما ماتا شابين فلم يبلغا سنا تقوم به الحجة عليهما كما قال تعالى ﴿ أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر ﴾ قيل هو ستون سنة وقيل أربعون سنة وفى الحديث « لقد أعذر الله إلى امرىء أخَّره من العمر ستين سنة » .

وفى الأثر قد تمت حجة الله على ابن الأربعين ، وكان عُمْر والد

النبى صلى الله عليه وآله وسلم حين توفى خمسا وعشرين سنة[1] كما قال الواقدى إنه أثبت الأقاويل فى سنه وكان عمر أمه حين توفيت قريبا منه.

فى الدليل على أن أبوى النبى صلى الله عليه وآله وسلم وأجداده إلى إبراهيم عليه السلام كانوا على الحنيفية دين إبراهيم ولم يكونوا على ما كانت عليه العرب من عبادة الأوثان

أخرج ابن جرير فى تفسيره عن مجاهد فى قوله تعالى ﴿ وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجْنُبنى وبَنِىَّ أن نعبد الأصنام ﴾ قال فاستجاب الله لإبراهيم عليه السلام دعوته فى ولده فلم يعبد أحد من ولده صنما بعد دعوته .

وأخرج ابن أبى حاتم فى تفسيره عن سفيان بن عيينة أنه سئل هل عبد أحد من ولد اسماعيل الأصنام قال لا ألم تسمع قوله تعالى ﴿ واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام ﴾ .

وأخرج ابن المنذر فى تفسيره عن ابن جريج فى قوله تعالى ﴿ رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى ﴾ قال فلن يزال من ذرية إبراهيم ناس على الفطرة يعبدون الله تعالى.

(قلت) ويمكن أن يحمل على ذلك قوله تعالى ﴿ وتقلبك فى الساجدين ﴾ فقد أخرج ابن سعد فى « الطبقات » والبزار والطبرانى وأبو

(١) وقيل كما تقدم ثمانى عشرة سنة

نعيم فى « الدلائل » عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى قوله تعالى ﴿ **وتقلبك فى الساجدين** ﴾ قال من نبى إلى نبى ومن نبى إلى نبى حتى أخرجتك نبيا . ففسر تقلبه فى الساجدين بتقلبه فى أصلاب الأنبياء عليهم السلام ويمكن أن يحمل على أعم منهم وهم المصلون الذين لا زالوا فى ذرية إبراهيم لوصح أنه ليس فى اجداد النبى صلى الله عليه وآله وسلم انبياء بكثرة بل إسماعيل وإبراهيم ونوح وشيث وآدم وادريس عليهم السلام فى قول .

فى أن آباءه صلى الله عليه وآله وسلم من خير القرون

ومما يدل على ذلك أيضا قوله صلى الله عليه وآله وسلم « **بعثت من خير قرون بنى آدم قرْنا فقرنا حتى بعثت من القرْن الذى كنت فيه** » أخرجه البخارى من حديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه وقوله صلى الله عليه وآله وسلم « **إن الله اصطفى من ولد ابراهيم إسماعيل واصطفى من ولد اسماعيل بنى كنانة واصطفى من بنى كنانة قريشا واصطفى من قريش بنى هاشم** » أخرجه مسلم من حديث واثلة فالخيْرية والاصطفاء يشعران بالإسلام.

وطريقة أخرى فى الاستدلال أخرج الإمام أحمد فى « الزهد » والخلال فى « كرامات الأولياء » بسند صحيح على شرط الشيخين عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال « **ما خلت الأرض من بعد نوح**

من سبعة يدفع الله بهم عن أهل الأرض ».

وأخرج ابن جرير فى تفسيره عن شهرين حوشب قال « لم تبق الأرض إلا وفيها أربعة عشر يدفع الله بهم عن أهل الأرض ويخرج بركتها إلا زمن إبراهيم فإنه كان فيه وحده ».

وأخرج أحمد فى « الزهد » عن كعب قال لم يزل بعد نوح فى الأرض أربعة عشر يدفع بهم العذاب .

وأخرج الخلال فى « كرامات الأولياء » عن زاذان قال « ما خلت الأرض بعد نوح من اثنى عشر فصاعدا يدفع الله بهم عن أهل الأرض ».

وهذه الآثار مع أثر ابن جريج السابق فى « أنه مازال من ذرية ابراهيم ناس على الفطرة يعبدون الله » تدل على أن أجداد النبى صلى الله عليه وآله وسلم كانوا على الحنيفية من زمن إبراهيم عليه السلام .

وبيان ذلك أنهم لو كانوا على الكفر فلا يخلو إما أن يكون الذين على الفطرة ويدفع بهم ـ غيرهم أولا يكون أحد كذلك ، والثانى باطل لأنه خلاف الوارد فى الآثار الصحيحة ، والأول باطل أيضا لأنه يلزم عليه أن يكون غيرهم خيرا منهم إذ لا يكون كافر خيرا من مسلم وهذا باطل لمخالفته حديث البخارى المصدر به هذا الفصل وهو أنه بعث من خير قرون بنى آدم قرناً فقرنا إلى القرن الذى كان فيه . فهذا يدل على أن كل أصل من أصوله خير قرنه ولا يكون كذلك وهو كافر وفى قرنه مسلم

فتعين أن يكون مسلما والأحاديث متواترة بمعنى حديث البخارى .

أخرج البيهقى فى « دلائل النبوة » عن أنس رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : «**ما افترق الناس فرقتين إلا جعلنى الله فى خيرهما فاخرجت من بين أبوى ولم يصبنى شىء من عهد الجاهلية خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم حتى انتهيت إلى أمى فانا خيركم نفسا وخيركم أبا**».

وأخرج أبو نعيم فى « دلائل النبوة » من طرق عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « **لم يلتق أبواى على سفاح لم يزل الله ينقلنى من الاصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة مصفى مهذبا لا تنشعب شعبتان إلا كنت فى خيرهما** ».

وأخرج ابن سعد عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « **خير العرب مضر وخير مضر بنو عبد مناف وخير بنى عبد مناف بنو هاشم وخير بنى هاشم عبد المطلب والله ما افترق فرقتان منذ خلق الله آدم إلا كنت فى خيرهما** » **والاحاديث فى هذا المعنى كثيرة وقد أوردتها فى أول « كتاب المعجزات »** .

وأخرج ابن أبى عمرو العدنى[1] فى مسنده عن ابن عباس رضى

(١) ابن أبى عمرو هو أبو عبد الله محمد بن يحيى العدنى المتوفى سنة ثلاث واربعين ومائتين رحمه الله تعالى .

الله تعالى عنهما ، أن قريشا كانت نورا بين يدى الله عز وجل قبل أن يخلق آدم بالفى عام يُسبِّح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه فلما خلق الله آدم ألقى ذلك النور فى صلبه ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ فاهبطنى الله إلى الأرض فى صلب آدم وجعلنى فى صلب نوح وقدرنى فى صلب إبراهيم ثم لم يزل الله ينقلنى من الأصلاب الكريمة إلى الارحام الطاهرة حتى أخرجنى من بين أبوى ولم يلتقيا على سفاح قط ،.

وأخرج البيهقى فى ، الدلائل ، والطبرانى فى ، الأوسط ، عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قال لى جبريل قلبت الأرض مشارقها ومغاربها فلم أجد رجلا أفضل من محمد ولم أجد بنى أب أفضل من بنى هاشم ، قال الحافظ ابن حجر فى ، أماليه ، بعد أن أورد هذا الحديث لوائح الصحة ظاهرة على صفحات هذا المتن.

كلام الأشعرى فى أبي بكر الصديق

قال الشيخ أبو الحسن الأشعرى إمام أهل السنة : وأبو بكر مازال عين الرضى منه ـ فاختلف الناس فى مراده بهذا الكلام . فقال بعضهم إن الأشعرى يقول إن أبا بكر الصديق رضى الله تعالى عنه كان مؤمنا قبل البعثة وقال آخرون : بل أراد أنه لم يزل بحالة غير المغضوب عليه فيها لعلم الله تعالى بانه يصير من الأبرار . قال الشيخ تقى الدين السبكى لو

كان هذا مراده لاستوى الصديق وسائر الصحابة رضى الله تعالى عنهم فى ذلك وهل العبارة التى قالها الأشعرى فى حق الصديق رضى الله تعالى عنه لم تحفظ منه فى حق غيره فالصواب أن يقال إن الصديق رضى الله تعالى عنه لم تثبت عنه حالة كفر بالله قبل البعث كحال زيد بن عمرو بن نفيل وأقرانه ولهذا خصص الصديق رضى الله عنه بالذكر عن غيره من الصحابة رضى الله تعالى عنهم انتهى .

(قلت) وهذا الذى قاله السبكى فى الصديق رضى الله تعالى عنه نقوله نحن فى أبوى النبى صلى الله عليه وآله وسلم وأجداده مع ان الصديق رضى الله تعالى عنه وزيد بن عمرو بن نفيل إنماحصل لهما التحنف فى الجاهلية ببركة النبى صلى الله عليه وآله وسلم فانهما كانا صديقين له قبل البعثة وكانا يودانه كثيرا .

فيمن نص على إسلامه من أجداد النبى صلى الله عليه وآله وسلم صريحا

أخرج ابن حبيب فى تاريخه عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال كان عدنان ومعد وربيعة ومضر وجزيمه وأسد على ملة إبراهيم فلا تذكروهم إلا بخير .

قال السهيلى فى « الروض الأنف » يذكر عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « لا تسبوا الياس فإنه كان مؤمنا وذكر أنه كان يسمع فى صلبه تلبية النبى صلى الله عليه وآله وسلم بالحج ».

وأخرج الزبير بن بكار مرفوعا : **لا تسبوا مضر ولا ربيعة فانهما كانا مؤمنين** ، .

وقال ابن سعد فى « الطبقات » أخبرنا خالد بن خداش حدثنا عبد الله بن وهب أخبرنى سعد بن أبى أيوب عن عبد الله بن خالد رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « **لا تسبوا مضر فإنه كان قد أسلم** » .

وقال السهيلى فى (الروض الأنف) أن كعب بن لؤى أول من جمع يوم العروبة وكانت قريش تجتمع إليه فى هذا اليوم فيخطبهم ويذكرهم بمبعث النبى صلى الله عليه وآله وسلم ويبلغهم أنه من ولده ويأمرهم باتباعه والإيمان به وينشد فى هذا أبياتا منها قوله :

يا ليتنى شاهد نجواء دعوته   إذا قريش تُبَغّيَ الحقّ خِذْلانَا

وقد ذكر الماوردى هذا الخبر عن كعب فى «كتاب الأحكام» له انتهى .

(قلت) أخرجه أبو نعيم فى « دلائل النبوة » بسنده عن أبى سلمة ابن عبد الرحمن بن عوف وفى آخره وكان بين موت كعب ومبعث النبى صلى الله عليه وآله وسلم خمسمائة وستون سنة . وقد سقت الخبر بلفظه فى أول « كتاب المعجزات » .

فى أن عبد المطلب كان على الحنيفية

أخرج ابن سعد عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن عبد المطلب قال لما قدم أصحاب الفيل وقد صعد جبل أبى قيس.

لا هم أن المرء يمنع رحله فامنع رحالك

لا يغلبن صليبهم ومحالهم أبداً محالك

واورده جماعة بلفظ :

فانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك

وهذا يدل على أنه كان على الحنيفية حيث تبرأ من الصليب وعابديه.

وفى طبقات ابن سعد بأسانيده أن عبد المطلب قال لام أيمن وكانت تحضن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « **يابركة لا تغفلى عن ابنى فانى وجدته مع غلمان قريبا من السدرة وإن أهل الكتاب يقولون ابنى نبى هذه الأمة** » .

فى بعض من تحنف في الجاهلية

أخرج البزار والحاكم فى « المستدرك » وصححه عن السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « **لا تسبوا ورقة بن نوفل فإنى قد رأيت له جنة أو جنتين** » .

وأخرج البزار عن جابر رضى الله تعالى عنه قال سألنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن زيد بن عمرو بن نفيل فقيل يارسول الله إنه كان يستقبل القبلة فى الجاهلية ويقول دينى دين إبراهيم والهي إله إبراهيم يسجد فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، **ذاك أمة وحده يحشر بينى وبين يدى عيسى بن مريم** ، . وسألناه عن ورقة بن نوفل كذلك فقيل يارسول الله كان يستقبل القبلة ويقول الهى اله زيد ودينى دينه فقال ، **رأيته يمشى فى بطن الجنة عليه حلة من سندس** ، .

وأخرج أبو نعيم فى ، الدلائل ، عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن قيس بن ساعدة كان يخطب قومه بسوق عكاظ فقال فى خطبته سيجيئكم حق من هذا الوجه وأشار بيده نحو مكة قالوا فه ما هذا الحق ؟ قال رجل من ولد لؤى بن غالب يدعوكم إلى كلمة الاخلاص وعيش الأبد ونعيم لا ينفد فإن دعاكم فأجيبوه ولو علمت أنى أعيش إلى مبعثه لكنت أول من يسبقهم إليه .

وأخرج أبو نعيم عن عمرو بن عَبَسَة السلمى قال رغبت عن آلهة قومى فى الجاهلية وعلمت أنها الباطل يعبدون الحجارة . وأخرج أبو نعيم عن عبد الله بن سلام قال لم يمت تُبع حتى صدق بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم لما كان يهود يثرب يخبرونه وتقدم حديث ، **لا تسبوا تُبعا فإنه كان قد أسلم** ، .

وأخرج الخرائطى وابن عساكر فى تاريخه عن جامع أن الأوس ابن حارثة كان يذكر دعوة الحق وبعث النبى صلى الله عليه وآله وسلم

وأوصى بذلك ولده مالكا عندموته . وقد سقت الخبر بتمامه فى « المعجزات » .

وأخرج البيهقى وأبو نعيم كلاهما فى « الدلائل » من طريق الشعبى عن شيخ من جهينة أن عمرو بن حبيب الجهنى ترك الشرك فى الجاهلية وصلى لله وعاش حتى أدرك الإسلام : وسقت الخبر أيضا بتمامه فى « المعجزات » .

وأخرج الطبرانى فى « الكبير » بسند رجاله ثقات عن غالب بن ابجر رضى الله تعالى عنه [1] قال ذكر قس عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « **فقال رحم الله قسا قيل يارسول الله تترحّم على قس قال نعم إنه كان على دين أبى إسماعيل بن إبراهيم** » .

فيما كانت عليه العرب قبل الإسلام

قال الشهرستانى فى « الملل والنحل » كانت العرب على قسمين معطلة ومحصلة : فالمعطلة أصناف منهم : من أنكر الخالق والبعث والاعادة وقال بالطبع المحيى والدهر المفنى وهم الذين أخبر الله تعالى عنهم بقوله (**وقالوا ماهى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحى وما يهلكنا إلا الدهر**)

ومنهم : من أقرّ بالخالق والابتداء والابداع وأنكر البعث

(١) فى تجريد أسد الغابة غالب بن ابجر ويقال غالب بن ديخ له أحاديث عند البصريين .

والاعادة وهم الذين أخبر الله عنهم بقوله:﴿ **قال من يحيى العظام وهى رميم** ﴾ **ومنهم**: من أقر بالخالق والابداع ونوع من الإعادة وأنكر الرسل وعبد الأصنام وزعم أنها شفعاء له عند الله فى الآخرة وهم أكثر العرب إلا شرذمة منهم .

وأما المحصلة فكانوا على ثلاثة أنواع من العلوم ، الأول (علم الأنساب والتواريخ والاديان) ويعدونه نوعا شريفا خصوصا معرفة أجداد النبى صلى الله عليه وآله وسلم والاطلاع على ذلك النور الوارد من إبراهيم إلى إسماعيل وتواصله فى ذريته إلى أن ظهر بعض الظهور فى أسارير عبد المطلب وببركة ذلك النور الهم النذر فى ذبح ولده . وببركته كان يأمر ولده بترك الظلم والبغى ويحثهم على مكارم الأخلاق وينهاهم عن دنيات الأمور . وببركته قال لابرهة إن لهذا الدين ربا يحفظه . قال وقد صعد أبا قيس :

لا هم إن المرء يمنـــــع رحلـه فامنع رحالك

لا يغلـبن صليبهـــم ومحالهم أبدا محالك

وببركة ذلك النور كان يقول فى وصاياه انه لن يخرج من الدنيا ظلوم حتى ينتقم منه وتصيبه عقوبة إلى أن هلك رجل ظلوم لم تصبه عقوبة فقيل لعبد المطلب فى ذلك ففكر وقال ، **والله إن وراء هذه الدار دارا يجزى فيها المحسن باحسانه ويعاقب فيها المسىء بإساءته** ،.

ومما يدل على اثباته المعاد والمبدأ أنه كان يضرب بالقداح على

عبد الله ابنه ويقول يارب أنت الملك المحمود . وأنت ربى الملك المعبود . من عندك الطارف والتليد .

ومما يدل على معرفته بحال الرسالة وشرف النبوة أن أهل مكة لما أصابهم ذلك الجدب أمر أبا طالب [1] أن يحضر بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم وهو صغير فاستسقى به وأنشد فى ذلك أبو طالب قوله:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

(والنوع الثانى) علم الرؤيا (والنوع الثالث) علم الأنواء وهو علم الكهانة والقيافة .

ومن العرب من يؤمن بالله واليوم الآخر وينتظر النبوة وكانت لهم سنن وشرائع . فممن كان يعتقد الدين الحنيفى زيد بن عمرو بن نُفَيل وقس ابن ساعدة الإيادى وعامر بن الظَّرِب العَدَوانى .

ومما كان قد حرم الخمر فى الجاهلية قيس بن عاصم التميمى وصفوان بن أمية الكنانى وعقيب ابن معبد يكرب الكندى .

وممن كان يؤمن بالخالق وبخلق آدم عليه السلام طالحة بن ثعلب ابن وبرة بن قضاعة ومنهم زهير بن أبى سُلمى وكان يمر بالعضاه وقد أورقت بعد يُبْسٍ ويقول لولا أن تسبنى العرب لآمنت أن الذى أحياك بعد يبس سيحى العظام وهى رميم ثم آمن بالبعث بعد ذلك وقال فى قصيدته المشهورة .

---

(١) قال فى المواهب إلا أن أبا طالب لا ينجو لأنه أدرك البعثة ولم يؤمن .

يُؤخرْ فيوضَعْ فى كتابَ فَيُدَّخر ليوم الحساب أو يعجل فينقــم

وكـان بعض العـرب إذ حـضـره الموت يقـول لولده ادفنوا مـعى راحلتى حتى أحشر عليها فإن لم تفعلوا حُشرت على رِجلى .

وكانوا فى الجاهلية يحرمون أشياء نزل القرآن بتحريمها كنكاح الأمهات والبنات والأخوات والخالات والعمات وكانوا يطوفون ويسعون ويلبُون ويفعلون المناسك كلها ويُهدون الهدايا ويَرمون الجمار ويحرمون الأشهر الحرم ويغتسلون ويغسلّون أمواتهم ويكفّنونهم وكانوا يداومون على طهارات الفطرة العشرة التى ابتلى بها إبراهيم عليه السلام ويوفون بالعقود ويكرمون الضيف ويقطعون يد السارق وكان دين إبراهيم قائما والتوحيد شائعا فى صدر العرب وأول من غيّر ووضع عبادة الأصنام عمرو بن لحى وهذا كله كلام الشهرستانى .

قال ابن الجوزى فى « التلقيح » تسمية من رفض عبادة الأصنام فى الجاهلية ابو بكر الصديق . زيد بن عمرو بن نفيل . عبد الله بن جحش عثمان بن الجويرث ورقة بن عمرو بن نوفل بن البراء . أبو بكر أسعد الحميرى . قس بن ساعدة الايادى . أبو قيس بن صرمة .

فى أن آباء الرسول كلهم كانوا موحدين

ثم رأيت الإمام فخر الدين الرازى احتج بما احتججت به من أن آباء النبى صلى الله عليه وآله وسلم كلهم كانوا على التوحيد فقال فى كتابه

، أسرار التنزيل ، مانصه قيل أن ، آزر، لم يكن والد إبراهيم بل كان عمه واحتجوا عليه بوجوه منها أن آباء الأنبياء ماكانوا كفارا ويستدل عليه بوجوه (منهـا) قـوله تعـالى ﴿ **الذى يراك حين تقـــوم وتقلبك فى الساجدين** ﴾ فقيل معناه أنه كان ينتقل نوره من ساجد إلى ساجد وبهذا التقرير فالآية دالة على أن جميع آباء سيدنا محمد صلىَ الله عليه وآله وسلم كانوا مسلمين وحينئذ يجب القطع بأن والد إبراهيم ما كان من الكافرين .

وأقصى مـافى البـاب أن يحـمل قـوله تعـالى﴿ **وتقـلبـك فى الساجدين** ﴾ على وجوه أخري وإذا وردت الروايات بالكل ولا منافاة بينها وجب حمل الآية على الكل ومتى صح ذلك ثبت أن والد إبراهيم مـا كـان من عبدة الأوثان .

ومما يدل على أن آباء سيدنا مـحـمد صلى الله عليه وآله وسلم ما كـانوا مـشركين قـوله عليـه السلام ، **لم أزل أنـقل مـن أصـــلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات** ، وقال الله تعالى ﴿ **إنما المشركون نجس** ﴾ فوجب أن لا يكون أحد من أجداده مـشركا . هذا كـلام الإمـام بحروفه والله تعالى أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب .

تمت رسالة ، التعظيم والمنة ، المباركة والحـمد لله رب العـالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ..

رقم الإيداع
٢٠٠٠/١٤٨٣٤
الترقيم الدولى
I.S.B.N.
977-5259 -47 -9